عصير الكتب
رواية
ضحايا نزوات
مريم عمرو
Reham

رواية: ضحايا نزوات

للكاتبة: مريم عمرو

تصميم الغلاف: ريهام محمد

المقدمة

في ليالي يناير الباردة، كنتُ أجلس في بيتي...

بيتي الذي ورثته عن جدي الراحل، أعيش فيه بمفردي منذ بضع أعوام...

الآن أنا أصبحت بمفردي تمامًا، لا أجد رفيق لي سوى المكتبة المتواضعة الباقية لي من ذكرى جدي التي جلسنا نجمع فيها الكتب ونقرأها، بإمكاني القول الآن أنني غدوتُ مثقفًا، خاصة أنني لم أكمل دراستي.

قلتُ لكَ سابقًا إننا جمعنا كتب كثيرة في هذه المكتبة، ويعني هذا أننا كنا نعرف كل كتاب، وكل قصة كانت موجودة فيه، المثير للاهتمام هنا، أنني في الفترة الأخيرة لم أطالع مستجدات الكتب التي ابتاعها جدي قبل وفاته، والآن أنا أريد القراءة عَلَّا تُسَلي وحدتي المميتة هذه، اتجهتُ للمكتبة وبدأتُ أبحث في الكتبُ الجديدة منها، وأثناء ذلك، وجدتُ كتاب أسود اللون، غلافه سميكٌ جدًا، ملمسه جعل قشعريرة تسير في جسدي كله! ، على غلافه كانت توجد نجمة خماسية الشكل، على حافة كل ضلع

من أضلاعها كان يوجد فراغ بيضاوي الشكل، وُضِعَ في كل فراغ منهم حجر الياقوت الصغير أزرق اللون، لم أفهم ما علاقة هذه النجمة، وهذه الأحجار بمحتوى الكتاب؟ انتابني الفضول لقراءته خاصة أنني لم أره من قبل، وهذا يشير إلى شيءٍ واحدٍ فقط ...

أجل، أجل الشيء ذاته الذي جال بخاطرك الآن، جدي كان يقوم بجمع كتب ويخفيها حتى لا أراها !

التساؤل الذي يجول بخاطري وبخاطرك أيضًا:

لماذا فعل ذلك؟

حسنًا دعنا الآن من البحث عن إجابة لهذا السؤال، ولنرفع الستار عن هذا الكتاب، ونعرف ما يُخفيه....

ثمن المعرفة (الضحية الأولى)

الكثير منا يبحث دائمًا عن المجهول، عن الشيء الذي يثير انتباهه، ويأخذ بعقله بعيدًا عن الحياة التقليدية المميتة، لم أقل لا تبحث عن التغيير، افعل ما شئت، ولكن إياكَ وتجاوز حدودك... إياك وعبور الطريق المحظور!

*****

٢٠٠٢عام

- يا (جاسم) انصت إليَّ رجاءً، فرقٌ شاسعٌ بين أحد يبحث في عالم ما وراء الطبيعة ليؤذي الجن، وشخصٌ آخر يبحث من باب العلم والمعرفة فقط، وأنا هو الشخص الثاني، ما المشكلة في هذا بربك؟!

قُلتها لـ(جاسم) وأنا أكاد أفقد أعصابي، لأنه في كل مرة يصر على أني أحاول إلحاق الضرر بنفسي، برغم أن هذا مجال يستحق الدراسة والبحث، فردّ عليّ بنبرة عالية بعض الشيء:

- المشكلة أنني في كل مرة أكرر على مسامعك نفس الكلمات، وأنت أيضًا في كل مرة لا تضع ما أقوله في عين الاعتبار، الجان -

وعالم ما وراء الطبيعة عمومًا- لا يحبون فضولنا كجنس بني آدم مطلقًا، والنتيجة لكل فضولي مثلك كانت الموت يا (سُهيل) الموت!

تنهدتُ بقوة وقلتُ بنبرة حاولتُ جاهدًا أن تبدو هادئة:

- أنت تعرف أن هذا ليس فقط فضول آدمي كما تقول، بل هو الموضوع الذي اخترته لأناقش فيه رسالتي الجامعية يا (جاسم)، وما زلت مُصِر على رأيي ولا أعتقد أنني سأغير موضوع الرسالة مهما كلفني ذلك.

انتصبت قامة (جاسم) واتجه صوب باب البيت قائلًا وهو يشير بسبابته في وجهي:

- ستندم على ذلك، ستندم....

***

كنتُ أقف أمام نهر النيل شارد الذهن، وأطالع حركة ماؤه، وأفكر...أعترف أن كلام (جاسم) صحيح، ولكن لو كل شخص منع إنجاز عمله بسبب القلق والخوف من المجهول، لما كان أحد منا أنجز أي شيء!

انتبهتُ لوقوف رجل عجوز بجانبي، يحملق في وجهي وعلى وجهه ابتسامة خبيثة، لم يكن هذا ليثير الخوف في نفسي إلا حينما اعتدلت في وقفتي ووقفتُ أمامه مباشرةً، شعرتُ بالخوف لوهلة...كان طويل القامة، رث الثياب، ويرتدي قبعة رأس أخفت الكثير من شعر رأسه الذي خالطه الشيب، قلتُ بنبرة خافتة تحمل الكثير من القلق:

- ماذا تريد يا عم؟

ابتسم العجوز ابتسامة كشفت عن أسنان قد سقط أغلبها والباقي منها يكاد يكون لونه أسود، ليست المشكلة في لون أسنانه مطلقًا المشكلة في حجمها الذي لا يتناسب أبدًا مع أحجام أسنان الآدميين الطبيعيين! ..

وبعد صمتٍ طال لدقائق عديدة أجاب:

- لستُ أنا من أريد ..بل أنت من تريد يا...يا (سُهيل).

ابتعدتُ عنه خطوتين للخلف، وقلتُ بنبرة متعجبة:

- مهلًا...من أين عرفتني؟ وعرفت اسمي؟!

أطلق الرجل ضحكات عالية، ثم أجاب:

- العرَّاف...

ساد الصمت بيننا قبل أن أقطعه بقولي:

- اسمع يا هذا ...إما أن تقول ماذا تريد.....وإما أن تذهب بعيدًا، وسيكون من سوء حظك أن نتلاقى مجددًا، لأنني إن لقيتك فسأتخذ إجراء لا أعتقد أنه سيروق لك.

ابتسم الرجل بهدوء شديد قائلًا:

- أُعيد أنك أنت من تحتاجني، لستُ أنا من أحتاجك، فأنت من تُريد أن تعرف كل شيء عن عالم الجان، أنت من تريد أن تُنهي رسالتك الجامعية على أكمل وجه ممكن، أنت من تريد أن تُثبت للجميع وجود الجان والعفاريت حولنا بأدلة ثابتة ومنطقية....أنت الذي لا يزال يبحث عن شيء يروي فضوله بأكمله، وللأسف ما زلت لم تجد هذا الشيء.

اقشَعَرَّ بدني، وقلتُ بنبرة تداخل فيها التعجب:

- من أين عرفت كل هذا يا عم؟ أنت تعرف كل شيء عني تقريبًا.

أومأ الرجل برأسه مُفسرًا:

- للعلم...

ليس كل ما تبحث عن إجابات له ستجده، وليس كل ما تريده ستحصل عليه، ولكن قُلت لك سابقًا "العرَّاف" هو الوحيد الذي بإمكانه مساعدتك.

هززتُ كتفايَ وأنا أقول بعدم اهتمام:

- ومن هذا الآخر؟ أكاد أُجزم أنه أبله مثلك تمامًا، كل ما قلته جميل جدًا ومُقنع جدًا ...مُقنع جدًا لأبله مثلك...نصاب يعرف الدجل فيخدع الناس... ليس لي أنا هذا الكلام.

أنهيتُ جملتي وهممتُ بالمغادرة، ولكن أوقفني صوته القائل بغضب:

- أنت الذي سيعود وسيبحث عني، تذكر هذا جيدًا.

ابتسمتُ بتهكم، والتفتُ لأردَّ عليه، ولكن عينايَ اتسعتا من الدهشة حينما لم أجد له أثر ...ذهب!

ذهب بلا رجعة!

***

لم يتوقف عقلي عن التفكير ولو للحظة واحدة منذ أن تركتُ هذا الأبله - كما أُسميه- ، هل يمكن أن يكون على حق؟ لا ..لا يمكن ..

حسنًا كيف عرف بكل هذه المعلومات عني؟

مجال دراستي....اسمي...هدفي.

الحل الأمثل هو الوصول للبيت، ثم الذهاب للنوم بعيدًا عن كل هذه الأسئلة المزعجة التي لا تغادر ذهني....وسيتضح كل شيء فيما بعد.

***

مرت الأيام منذ ذاك اليوم سريعًا، وأنا أُحاول بقدر الإمكان أن أشغل نفسي في رسالتي الجامعية، وأنسى أمر هذا العجوز، أو بمعنى أدق، أتناسى أمر العجوز الذي قابلته منذ بضعة أيام، ولكن باءت كل محاولاتي بالفشل، فالأمر أصبح بالنسبة لي يشبه أفلام السينما المرعبة، يظهر لك عجوز فجأة ...يحدثك عن كل شيء عنك تقريبًا، ومن ثم يذهب مع الريح!

فكرتُ كثيرًا، هل أقص على (جاسم) ما حدث لي؟، أم أتكتم على الأمر بيني وبين نفسي؟

حسنًا الأفضل الآن هو التكتم على الأمر ..نعم نعم هذا هو الصواب، على الأقل في الوقت الحالي.

***

في تمام الثانية فجرًا بعد منتصف الليل، نهضتُ من فراشي متجهًا إلى المطبخ، لأحضر كوبًا من الماء.

شربتُ حتى ارتويتُ، وأثناء خروجي من المطبخ وعودتي إلى فراشي، إذ أجد هذا العجوز يقف جانب فراشي ويبتسم ابتسامة كادت تصل إلى أذنيه!

انتفضتُ خوفًا ولم أستطع أن أنبس ببنت شفة، وأخذتُ أَفرُك عيناي عدة مرات متتالية عَلّي أحلم!، ولكن فاجئني حينما قال:

- رأيتُ أننا بحاجة للتحدث سويًا، وبعدها يكن لك الحق في الموافقة أو الرفض.

استجمعتُ شجاعتي، وصحتُ فيه بغضب:

- ألم أحذرك من قبل مني؟

ما الذي تريده بحق السماء؟ الحل الأمثل لأمثالك هو السجن أو...

قاطعني وهو يفتح عينيه على آخرهما، ويشير بسبابته في وجهي:

- أنت بهذه الطريقة تعرض نفسك للخطر يا (سُهيل) التعامل معنا لا يكون بهذه الطريقة، بإمكاننا أذيتك شر أذية.

عاودتُ الصياح مجددًا:

- ومن أنتم إذًا؟ مجموعة من الدجالين؟ أم ماذا؟

ارتخت ملامح العجوز وهو يقول:

- سؤالك غاية في الجمال...

نحن من نقدر على تحقيق أي شيء تريده، نحن من بيدنا شقاؤُكَ وسعادتُكَ، نحن من نمتلك فعل المستحيل في غمضة عين، وأنت بإمكانك اختيار طريقك يا (سُهيل) بإمكانك الحصول على المعرفة، وكنوز الدنيا بأكملها، وبإمكانك أن تظل بهذه الهيئة ...الهيئة التي طُبع بها آلاف وآلاف الشباب، لا يتطلعون إلى الكنوز الثمينة التي من الممكن أن يحصلوا عليها لو فكروا بعملية.

- اعذرني في هذا القول يا عم، ولكن من أنت حتى تتحدث عن الكنوز والثروات؟

ابتسم الرجل قائلًا :

- لا تهتم لأمري ، فأنا مرحلة من مراحل تجربتك، ولن تراني مجددًا.

عقدتُ حاجبيّ وأنا أقول بنبرة متعجبة:

- ماذا تقصد؟

اقترب الرجل مني وقال :

- دعك من هذا ...

الآن...أنت اقتنعت بكلامي وتريد التجربة؟ أم ما زلت مُصِر على رأيك؟

- فلنجرب يا هذا، وأقسم إن كنت تود التلاعب بي فسوف ترى الرعب بحق، وللعلم أنا وافقت فقط لضرورة ما أحتاج إليه .

ابتسم الرجل بحماس وقال:

- هيا بنا إذًا!

وفي غمضة عين، وجدتُ نفسي أمام قصر قديم جدًا، إن قُلتَ أنه بُني منذ آلاف السنين فلن أُجَادِلُكَ في هذا، وهيئته تبعث الخوف والرهبة في النفس، بلونه الأحمر القاتم، وكأنه بيت من بيوت الجان!

وقفتُ أنظر حولي بتعجب، لا أستوعب أين أنا ..ولا أعرف كيف جئت، آه ..نعم... نعم ذاك العجوز هو من جاء بي إلى هنا، ولكن لم يوضح لي أي شيء آخر، وتركني هائمًا هكذا.

أفقتُ من شرودي على صوت رجل مُسِنْ يقول:

- أنت يا هذا ..اصعد ورائي ..هيَّا.

حاولتُ رؤية ملامح هذا الرجل، ولكني فشلت خاصة أنه يقف أمام باب القصر ويفصله عنه سلم ضخم يستغرق لصعوده نصف ساعة على الأقل!

ترددتُ للحظات قبل الشروع في صود السُلَّم، ولكن بمجرد أن وطئتُ بقدمي أول عتبة، وجدتُ نفسي وصلتُ لباب القصر في أقل من ثانية!

شعور الرهبة يتزايد لديّ بشدة، خاصة عندما أدركتُ أني في عالم خارق للطبيعة، أخذت أتلفت حولي برعب قبل أن أشرع في دخول القصر، وعبور المرر الطويل خلف هذا الرجل الذي يرتدي حرملة تصل لآخر قدمه وتسير خلفه كأنها ذيل!

ظللتُ أسير خلفه وأكاد أسمع دقات قلبي من الخوف، إلى أن وصلتُ إلى الغرفة التي أشار لي بالدخول فيها، دخلتُ الغرفة وسمعتُ صوت الباب يُغلق خلفي بقوة مما أدى إلى سريان رعشة قوية في جسدي.

تطلعتُ إلى الكرسي الضخم الذي يجلس عليه رجل ويوليني ظهره، والغرفة حوله مضاءة بالشموع فقط، جذب انتباهي المكتبة التي تحوي العديد والعديد من الكتب، فقلتُ بنبرة حذرة:

- أأنت العرَّاف؟

ظل الرجل يوليني ظهره وأجاب بصوتٍ أجش:

- أجل أنا ...واعلم إن كنت دخلت هنا برضاك فلن تخرج من هنا إلا برضايَ أنا، وإن فكرت في عِصياني فسوف تندم أشد الندم على ذلك!

ثمن المعرفة (الضحية الأولى) ٢

مع كل كلمة كنتُ أقرأها، كانت الشموع تنطفئ فجأة، ثم تعاود الإضاءة مجددًا، ومع كل كلمة كنتُ أقرأها، كنتُ أشعر بدقات قلبه تتسارع، ويعلو صوتي أثر الرعب، بدأتُ أشعر أن روحي تُسلب مني ببطئٍ شديدٍ، في حالتي الموت أصبح أصعب شيء من الممكن أن أحصل عليه!، شعرتُ أني أخطأتُ حينما أخذتُ كلام (العَرَّاف) بعين الاعتبار، ولكن يبقى الإنسان دائمًا نتيجة اختياره.

انتهيتُ من قراءة الطلسم، ولكني شعرتُ بدوار شديد، دوار يكاد يفتك بي، ثم رعشة قوية اجتاحتني ...ثم....ثم ظلام تام!

***

ترددتُ للحظات قبل أن أقول:

- لن يحدث بيننا خلاف أَعِدُكَ بذلك، ولكن اسمح لي في سؤال بسيط:

- أأنت جِنِّي؟، كل شيء رأيته منذ دخولي هذا العالم الغريب يدل على أن الجميع هنا ما هم إلا كائنات من العالم الآخر، ومتجسدين في هيئة بشرية.

صمتُ بعد هذه العبارة، لأسمع صوت قهقهة العرَّاف، الذي أجاب:

- أعرف أنك ستتفاجأ من إجابتي ...ولكن أنا بشري مثلك تمامًا، أما الذين تتحدث عنهم فهم من العالم الآخر فعلًا.

لم يجد ردة فعل مني سوى صمتي التام الذي كان نتيجة لخوفي مما أقدم على فعله، فتابع:

- اجلس يا (سُهيل) اجلس.

انصعتُ له على الفور، وقلتُ وأنا أجلس على كرسي خلفه:

- طالما أنت بشري لماذا تُخفي هيئتُكَ عني؟

لم يطل الصمت هذه المرة كثيرًا، إذ سمعته يجيب بنبرة هادئة:

- أنا بشري لفترة مؤقتة يا عزيزي، أما بخصوص الإجابة عن سؤالك، فأنا لا أود أن أكشف لك ولا لأي أحد هيئتي، بإمكانك القول أن هذا هو أصول اللعبة.

عقدتُ حاجبايَ بدهشة، ولم أعقب، فتابع(العرّاف) حديثه:

- تشعر بعدم الفهم أليس كذلك؟ لا يهم هذا، المهم هو السبب الذي أتيت أنت من أجله.

ارتخت ملامحي وهممتُ بالتحدث، ولكن أوقفني صوته الذي تابع:

- جميل جدًا أنك تبحث عن شيء مختلف وخارق للطبيعة، انحرفت بمسارك عن مسار العديدين الذين عاشوا وماتوا في هذه الدنيا ولم يتركوا لهم أثر يستفاد الناس منه ويذكروه بها، أنا هنا لنفس الشيء تقريبًا، فأنا أيضًا انحرفت بمساري ولكن بطريقة مختلفة قليلًا، ولن أخوض في معنى هذا الآن، كل ما يهمك أنت، هذا الكتاب الذي يوجد أمامك على المنضدة، لا تتعجب من هيئته، فقط اقرأ ما ستجده فيه بعناية ودقة شديدتين، فيه ستجد كل شيء تبحث عنه، فيه ستحقق آمالك، ولكن إياك وأن تشعر بالخوف منه، إن التمسوا فيك الخوف فلن يرحموك يا (سُهيل)...لن يرحموك!

ابتلعتُ لعابي بصعوبة، ومددتُ ذراعي أأخذ الكتاب، وازدادت رهبتي حينما تطلعتُ إلى شكله السميك، ولونه القاتم، لسبب مجهول حينما لمستُ الكتاب سارت قشعريرة في جسدي كله، علاوة أنه رُسِمَت نجمة خماسية الشكل على غلافه، على حافة

كل ضلع من أضلاعها كان يوجد فراغ...فراغ يُشَكِّل دائرة بيضاوية الشكل، يمكنك أن تضع فيه شيء صغير جدًا، ولكني لم أفهم لِمَ توجد هذه الفراغات؟ انتابني شعور بالقلق ولكني تجاهلته، وقلتُ:

- وما ثمن هذا الكتاب؟

قاطعني (العرَّاف) قائلًا:

- بخصوص الثمن...لن تحتاج لتدفع لي أي شيء، فأنا سآخذ منك الأغلى من أي شيء بإمكانك تقديمه لي، ولكن أتمنى أن تجد في هذا الكتاب ما تريد، بالمناسبة....ما زال الطريق أمامك مفتوحًا على مصرعيه، يمكنك ترك الكتاب والعودة إلى منزلك وكأن شيئًا لم يكن، ولكن عليك أيضًا أن تنسى أحلامك التي لم ترَ النور بعد، فماذا تختار؟

ظللتُ صامتًا لبضع دقائق، هل ما أقدم على فعله الآن حرام؟ بعيدًا عن الإجابة على هذا السؤال...هل سأندم على ما أفعله؟ أيًا ما كانت الإجابة...سأستسمَحُكَ في أن تغمض عينيك وتتخيل حياتك وكل شيء تريده بين يديك، مناصب عالية، مكانة مرموقة في المجتمع، والأبهى من هذا كله هو أن تتمتع بما لم يتمتع به

أحد من قبلك، وهل يوجد الأجمل من هذا يا فتى؟، فلنجرب يا أخي ولن نخسر شيئًا، أجل هذا هو الصواب.

تنهدتُ براحة بعد أن أصبحتُ سعيدًا بتخيلاتي الرائعة، وقلتُ بحماس:

- لا...سأخوض التجربة.

ابتسم الآخر بانتصار وقال:

- وأنا أيضًا أقول ذلك... وداعًا!

وفي غضون لحظات وجدتُ نفسي قد عدتُ لبيتي، وبيدي الكتاب الذي أخذته من (العَّراف)!

حسنًا لا مجال للتعجب هنا، فقد اعتدتُ الأمر.

جلستُ على فراشي بهدوء، وألقيتُ الكتاب جانبي، ثم أخذتُ أفكر في كل شيء مررتُ به بدايةً من ظهور العجوز لي في الشارع إلى مقابلة (العرَّاف) بعد بضع دقائق، أمسكتُ الكتاب، وأخذتُ أتأمل عُنوانه الذي كُتِبَ بخط سميك جدًا، وفتحته لأبدأ بقراءة الكلمات التي سُطِرَت في أول صفحة كمقدمة:

" لطالما بحثتَ عن شيء يجيب على كل أسئلتك، لطالما أردتَ أن تحقق المعجزات، لطالما أردت أن تظهر للجميع في صورة البطل الخارق، أَعِدُكَ أنك ستجد مرادك هنا، ولكنكَ حتمًا ستدفع الثمن!"

شعرتُ بدقات قلبي تتسارع، فتخطيتُ هذه الصفحة على الفور، لأبدأ بقراءة الصفحة التي تليها، ولكن مهلًا! الصفحة التالية بيضاء! لم يمسها حبر! وكذلك الصفحة التي تليها...والتي تليها.

اكتشفتُ أن الكتاب فقط عبارة عن مقدمة!

جن جنوني، لأني الآن ضحية الدجل والنصب، أخذتُ أجول في الغرفة ذهابًا وإيابًا دون فائدة، ماذا عسايَ أفعل؟ وأين سأجد هذان المعتوهان الآن؟، الحل الوحيد هو التنقيب في كل صفحات الكتاب، حتى وإن وصل الأمر إلى تقطيع صفحة صفحة من صفحاته.

عدتُ أُمسك الكتاب بين قبضتيّ، وأفتحه مرة أخرى، آملًا في إجادة أي شيء ...تخطيتُ أول ثلاث صفحات لأجد طلاسم ورسومات لمثلثات عجيبة، ومجسمات تشير إلى رمز النجمة، كل

هذا أشار إلى شيء واحد....وهو أن هذه الطلاسم ما هي إلا تعاويذ، وكلمات التعاويذ سُطِرت بالدم!

مهلًا....هذه الليلة هي ليلة قمرية، وقرأتُ كثيرًا أن هذه الليالي تكون مناسبة جدًا لممارسة السحر! هل هذا يشكل خطرًا عليّ إن قرأتُ هذه التعاويذ الآن؟ لا أعتقد فـ(العرّاف) يعرف هذا وإن كان هناك خطر كان سيخبرني بكل تأكيد.

بعيدًا عن أني أكاد أُجزم أن الكتاب كان فارغًا تمامًا منذ بضع دقائق، إلا أنني الآن بدأتُ أشعر بالخوف! وهذا ما حذرني منه العرَّاف ...استجمعتُ شجاعتي وعدتُ أنظر إلى الصفحات التي أمامي، فوجدتُ - في اللحظة التي أنظر فيها في الكتاب- تنويه يُكتب بالدماء نصَّ على:

"لتبدأ تحقيق آملاك ...احضر شمع عدده لا يتجاوز الخمس عشرة شمعة، واطفئ الأنوار، ثم اجلس أمام الكتاب وابدأ في قراءة هذه الطلاسم و...وإياك والتراجع، فلا مجال لذلك، هذه هي آخر مرحلة من مراحل تجربتك، وستصل بعدها إلى مرادك."

توقفت الدماء عن الكتابة، وتركتُ الكتاب من يدي، كي أحضر الشمع، وذهبتُ بخطوات شاردة إلى المطبخ، ارتباكي وخوفي

الشديدان جعلاني لا أقدر على البحث عن أي شيء، ظللتُ أتنقل في المطبخ باحثًا على الشموع بيدين مرتعشتين، وبعد مدة ليست قصيرة تنهدتُ بضيق، لأني لم أجد عدد الشمع المطلوب، عدتُ إلى الغرفة وهممتُ بفتح النور، ولكني تراجعتُ بقوة للخلف حينما وجدتُ الشمع مرصوص على الأرض بنظام، والكتاب مفتوح جانب الشمع!

أخذت قدمايَ تتراجعان، وعينايَ متسعتان من الدهشة، وألهث بقوة كمن خرج لتوه من سباق!

أغمضتُ عينايَ وتذكرتُ تنبيهات العَّراف لي عن الخوف، ولكني لم أكن أتصور أن يكون الأمر بهذه الصورة المرعبة!

شددتُ على قبضتي، وتنهدتُ بقوة، ثم تقدمتُ بخطوات مترددة إلى مكان الشموع والكتاب، وجلستُ على الأرض، وشرعتُ في قراءة الطلسم الذي أمامي.

***

مع كل كلمة كنتُ أقرأها، كانت الشموع تنطفئ فجأة، ثم تعاود الإضاءة مجددًا، ومع كل كلمة كنتُ أقرأها، كنتُ أشعر بدقات قلبه تتسارع، ويعلو صوتي أثر الرعب، بدأتُ أشعر أن روحي

تُسلب مني ببطئٍ شديدٍ، في حالتي الموت أصبح رفاهية من الصعب الوصول إليها!، شعرتُ أنني أخطأتُ حينما أخذتُ كلام (العَرَّاف) بعين الاعتبار، ولكن يبقى الإنسان دائمًا أسير اختياره.

انتهيتُ من قراءة الطلسم، ولكني شعرتُ بدوار شديد، دوار يكاد يفتك بي، ثم رعشة قوية اجتاحتني ...ثم....ثم ظلام تام!

***

صوت طرقات على باب بيت (سُهيل) تلاها صوت العصافير وهي تعذُبْ بألحانها كل صباح، كان صاحب الطرقات هو (جاسم) حينما شعر أنه أخطأ في آخر لقاء بينه وبين صديقه، أخذ يطرق الباب كثيرًا ولكن ما من إجابة.

هبط من البناية، متجهًا إلى عم (صبحي) البواب، رسم ابتسامة على شفتيه وهو يقول:

- مرحبًا يا عم...قل لي أين (سُهيل)؟ هل هو في البيت أم لا؟

هز الآخر كتفيه علامة النفي وقال بنبرة جافة:

- لا أعرف...لم ألقاه من فترة.

ضحك (جاسم) بسخرية وأخرج من جيبه عدة أوراق نقدية، ثم وضعها في يد عم (صبحي) قائلًا:

- وهكذا؟

أسرع الرجل يَدُس الأوراق النقدية في جيبه، ويقول بنبرة متلعثمة:

- تذكرت...تذكرت، منذ يومين خرج من البيت، وبعد مرور ساعتين تقريبًا عاد وعلى وجهه علامات لا تبشر بالخير مطلقًا، ومنذ ذاك الحين، لم يخرج أبدًا.

بدأت علامات القلق تظهر على وجه (جاسم) وهرول اتجاه المصعد، ثم صعد إلى الطابق الذي به شقة (سُهيل).

أخذ يلقي بجسده على الباب بقوة، ويركله بقدمه، عله يصل إلى نتيجة، وبعد عدة محاولات، فُتِح الباب، ودخل (جاسم) البيت بحذر، أخذ يتجول في صالة البيت بتردد، تارة يتفقد المكان بعينيه، وتارة ينظر خلفه بخوف.

صاح عدة مرات باسم (سُهيل)، ولكن ما من إجابة.

جذب انتباهه باب حجرته المردود، فاتجه صوبه وقام بفتحه، ثم خرجت صرخة من بين شفتيه تنم على الفزع الشديد!

***

- بالتأكيد رأيتَ أفلام رعب عديدة، ورأيتَ آلاف من الجثث المرعبة، ولكن الأكثر رعبًا هو أن ترى جثة هامدة أكثر رعبًا من جثث أفلام الرعب بأكملها.

كان (سُهيل) جثة هامدة، حينما تراها لأول مرة تظن أن هناك من كان يمارس السحر الأسود على جسده، كانت عيناه بيضاوان مفتوحتان على آخرهما، توشكان على مغادرة المحجر، فمه الذي يتقاطر منه الدماء، جسده الذي رُسِم عليه كافة رموز السحر الأسود، نظرة عينه تشعرك أنه كان يريد البوح بشيء، برغم أنه من الصعب جدًا أن ترى جسده بعدما تشوه بالرموز إلا أنه كان من السهل نوعًا أن ترى الزرقة الشديدة التي صبغت جلده ذا اللون القمحي.

انتهى (جاسم) من سرد تفاصيل ما رآه في بيتي على الضابط الذي يجلس أمامه، الذي قال معقبًا على حديث (جاسم):

السؤال الذي من المفترض أن نجد له إجابة:-

ما الذي فعله بنفسه ليصل إلى تلك النتيجة البشعة؟!

نظر (جاسم) له وقال بنبرة حملت الكثير من اليأس:

- لا أعرف، لقد أخبرتك بكل ما لديّ سيدي.

أومأ له الضابط قائلًا:

- حسنًا...سنغلق ملف القضية نظرًا لعدم وجود أي أدلة تؤكد أن شخصًا قام بفعل هذا على جسد الضحية، بل يبدو أنه فعل هذا بمحض رغبته.

***

تناول (العرَّاف) الكتاب، وفتحه وهو يمسك في يده حجر ياقوت صغير أزرق اللون، ويضعه في الفراغ الأول الذي كان يوجد على حافة أول ضلع من أضلاع النجمة، ثم أخذ يضحك بشدة حينما وجد حجر الياقوت يومض بقوة شديدة بلون أزرق، وتأتي الحروف الأبجدية من العدم وتُدَوِّن قصة (سُهَيْل) من البداية للنهاية، وما إن انتهى سرد القصة، حتى اختفى لمعان الحجر، وعاد الكتاب أسودًا قاتمًا كما كان!

رسالة الموت (الضحية الثانية)

"أنا على أتم استعداد لأعطيك كنوز الدنيا، أعطيك ما لم يتخيل بشر أن يحصل عليه يومًا، فقط اتبع سبيلي، ولا مشكلة أن تتخلى عن بعض مبادِئَك في سبيل تحقيق أحلامك."

***

عام ٢٠٠٢

- وهل ترى أنه من الطبيعي أن يستيقظ ثلاثتنا من النوم، فنجد رسالة مُدونة على مرآة الحمام بالدماء تحمل نفس الكلمات تقريبًا؟! إن كنت ترى أنه أمرًا طبيعيًا أو مزحة سخيفة فأنا لا أراه كذلك على الإطلاق.

قالها شاب يُدعى (سامر) قد شارف على إتمام عامه الثلاثون، اعتاد على التسكع واللهو مع أصدقاءه، لم يكن ليتحمل مسئولية نفسه أصلًا، خاصة أنه يعيش بمفرده بعد سفر والداه.

رد عليه (يوسف) الذي يجلس أمامه في مقهى جانب بيت (سامر):

- حسنًا، وإن لم يكن كذلك فماذا سيكون بربك؟

اصغ إليّ يا (سامر) أنا أرى أن نتجاهل هذا الأمر برمته، وإن تكرر ثانيةً، فسنبحث عن السبب، أعدك بهذا.

قال (عَسّاف) وهو آخر عضو من مجموعتهم هذه، مؤكدًا ما قاله (يوسف):

- أنا أيضًا أتفق معك يا (يوسف) خاصة أن الرسالة تافهة جدًا، برأيك يا فتى من الذي سيرشد أحدًا على طريق يحصل منه على كنوز ومتاع الدنيا؟ لا أحد طبعًا، الآن من يكون عنده أي شيء ثمين يُخفيه عن أعين العالم.

هيَّا بنا نرحل، ونتأهب للتنزه اليوم، فسيكون يومًا شاق بالتأكيد.

أنهى جملته بضحكة خبيثة جعلت الآخران يتناسيا أمر الرسالة، وبالفعل تحركوا ثلاثتهم في طريق العودة لبيوتهم.

***

بعد مرور ساعتين....

كان (سامر) قد وصل لبيته، صعد درجات السلم بذهن شارد تمامًا، ومن ثَم أولج مفتاحه في باب الشقة، وأغلقه بعد أن دخل

البيت وأضاء الأنوار، ثم ألقى بجسده على أقرب أريكة رآها أمامه.

كل ما كان يشغل تفكيره الآن، هو الربط بين الرسالة التي رآها في الصباح الباكر، وكلام أصدقاءه، صدقًا هو لا يعرف كيف يملكان برود الأعصاب هذا؟ برغم أن الرسالة التي وصلت لهم تتضمن معنى غاية في الخطورة إن أردتَ الدِّقَة، ولكن أساسًا (يوسف) و (عسّاف) لا يباليان بأي شيء من الممكن أن يعكر صفو ذهنهما، حتى لو....

ما هذه الرسالة الموضوعة على المنضدة؟، هو يكاد يُجزم أنه لم تصله أي رسائل من أي شخص كان، الخوف كله أن تكون هذه الرسالة مرتبطة برسالة الصباح!

لنرى إذًا.....

نهض من مجلسه، وتحرك بسرعة إلى المنضدة، ثم أمسك الظرف الذي يحتوي على تلك الرسالة الغامضة.

فتحها ثم بدأ يقرأ محتواها بعناية شديدة .... محتواها الذي نصّ على:

" عزيزي (سامر).....

مؤكد أنك تؤمن أن الحياة أحيانًا تضع أمامنا فرصًا لا تُعَوض أبدًا، كهذه الفرصة التي سأمنحها لك، فقط أكمل قراءة الرسالة بدقة...

إن كنت تريد الحصول على كنوز الدنيا وما فيها، إن كنت تود أن تحقق ما لم يحققه بشرٌ مثلك فاتبعنِي، اتبعنِي وأعدكَ أن تجد عندي ما تريد، معروفٌ عنك أنك تعشق المال، أنا على أتم استعداد لأعطيك كنوز الدنيا، أعطيك ما لم يتخيل بشر أن يحصل عليه يومًا، فقط اتبع سبيلي، ولا مشكلة أن تتخلى عن بعض مبادِئَك في سبيل تحقيق أحلامك.

بالمناسبة...وصل لصديقيك رسالتان تشبهان هذه الرسالة، ولكن تختلف في نقاط معينة ستعرفها حينما تلتقي معهما وتتناقشوا في أمر هذه الفرصة التي لا تُعَوض.

وأخيرًا... الذي أرسل هذه الرسالة هو نفس الشخص الذي دَوَّن لك رسالة الصباح بالدماء، وداعًا !"

أخذت دقات قلب (سامر) تتسارع بخوف ورهبة، وأخذت عيناه تجولان في الشقة وتتأمل كل شبرٍ فيها، الأمر ليس مزحة

سخيفة كما حاول (يوسف) و (عسّاف) إقناعه، يجب الآن أن يعرف مضمون رسالتهما.

أخرج هاتفه من جيب سترته بحركة سريعة، وبمجرد أن فتحه، جاءه اتصال من (يوسف) أجاب بسرعة لا تقل عن سرعة البرق:

- أرأيت؟ الأمر لم يكن مزحة كما أخبرتني في الصباح، لقد وصلت لك رسالة أليس كذلك؟ يا (يوسف) إن....

قاطعه (يوسف) بنبرة حادة بعض الشيء:

- نعم نعم وصلت ليَ الرسالة، لا أجد مبرر أقوله لنفسي قبل أقوله لك، علينا الآن أن نتجمع في بيت واحدٍ منا ونرى ماذا عسانا أن نفعل.

همَّ (سامر) بالرد عليه ولكن أصدر هاتفه ارتعاش دلَّ على اتصال من (عسَّاف)، فأسرع يقول لـ(يوسف):

- (يوسف)... (عسَّاف) يهاتفني الآن، سأجيبه، ومن ثمَّ أعاود الاتصال بك.

لم ينتظر ليسمع رد الآخر بل أغلق الاتصال، وأجاب على (عسَّاف) الذي أسرع يقول:

- أعرف يا (سامر) أنك أيضًا تلقيت هذه الرسالة الغريبة، و(يوسف) كذلك، وأنا فرغت للتو من قراءتها، أرى أن أهم شيء الآن هو أن نتجمع ونجد حلًا لهذا السخف.

زفر (سافر) بقوة، ثم قال:

- أتفق معك، ليكن التجمع في بيتي إذًا.

***

"أنا على أتم استعداد لأعطيك كنوز الدنيا، أعطيك ما لم يتخيل بشر أن يحصل عليه يومًا، فقط اتبع سبيلي، ولا مشكلة أن تتخلى عن بعض مبادِئَك في سبيل تحقيق أحلامك."

***

في تمام الثامنة مساءً، وفي شقة (سامر)، كانوا يجلسون وبيد كل واحدٍ منهم الرسالة التي جاءت له في الصباح، قال (سامر):

- حسنًا منذ ربع ساعة تقريبًا كل واحد منا قرأ رسالة الآخر، ألم تلاحظا شيئًا؟

إن دققتما في الأمر فستجدان أن صاحب الرسالة وعد كل فرد منا بإعطائه ما يحبه.

تبادل (يوسف) و(عسَّاف) نظرات عدم فهم، فعاود (سامر) الحديث مفسرًا:

- سأوضح لكم ما أعنيه بشكل أكثر تفصيلًا:

أنا أعشق المال، بالتأكيد أنتما تتذكران حينما سرقت خزنة والدي التي تحتوي على مائة ألف جنيه تقريبًا من أجل السفر وشراء أصناف جديدة من المخدرات والنبيذ، وهذه المرة حينما تاجرتُ في الآثار من أجل الحصول على المال الوفير.

ففي رسالتي كان العطاء مقتصر على المال، أما في رسالتكَ يا (يوسف) فكان العطاء مقتصر على الشهرة، نظرًا لأنك تتمنى دائمًا أن تصير معروفًا ومشهورًا، أما في رسالتك يا (عسَّاف) فكان العطاء مقتصر على الحُكم والسُّلطة، لأنك دائمًا ما كنت تحلم بهذا، ببساطة مُرسل هذه الرسالة يحيطنا علمًا بأنه يستطيع تحقيق لنا كل ما نريد سواء أكان جلب المال، أو الشهرة، أو الحُكم والسُّلطة.

اتسعت حدقتا عين (يوسف) وقال بدهشة:

- هذا شيء رائع!

عقد (عسَّاف) حاجبيه قائلًا بنبرة حملت الكثير من التعجب:

- وما الرائع في هذا؟ ألا ترى أن المُرسل قال في نهاية الرسالة أنه يجب علينا أن نتخلى عن مبادئنا؟

أطلق (يوسف) ضحكة عالية، وقال:

- رباه! وكأنه عندك مبادئ أصلًا؟

قال (سامر) بضيق:

- الأمر لا يتعلق بمبادئ يا خفيفيّ الظل، فكرا بجدية، من هذا الذي سيدل ثلاثة شباب على هذه الأشياء الثمينة دون أي مقابل؟ أنا شخصيًا أرى أن هذا فخٌ منصوبٌ لنا.

في هذا اللحظة سمعوا رنين جرس الباب.

لا يعلمون لِمَ تسارعت دقات قلبهم والتفوا جميعًا برهبة ليتفقدوا المكان من حولهم.

قطع (يوسف) هذا الصمت المريب حينما قال بنبرةٍ خافتةٍ:

- (سامر) أرجوك قُل لي إنك تنتظر أحدًا.

تجاهل (سامر) ما قاله (يوسف) ونهض من مجلسه اتجاه الباب، وسرعان ما تبعه الآخران.

فتح (سامر) الباب بحذرٍ شديد، هو لم يكن خائفًا من أن يجد أحدًا، بل كان الخوف كله هو ألا يجدَ أحدًا، تمامًا كما حدث...لا يوجد أحد، فقط توجد رسالة ملقاه أمام عتبة الباب.

نظر لهما قبل أن ينحني بجسده ويأخذ هذه الرسالة، ومن ثَمَّ يغلق الباب بحذر.

عاد الثلاثة إلى مجلسهم، وقال (يوسف):

- إن حدث ما يجول بخاطريَ الآن فسوف نكون مراقبون من قِبَل أُنَاس أقوى منا بكل تأكيد.

وللمرة الثانية تجاهل (سامر) ما قاله (يوسف) وفتح الرسالة وبدأ بقراءة محتواها بصوتٍ عالٍ بعض الشيء:

- "لكَ يا (سامر) كل الحق في عدم تصديق هذه الهِبَة التي أمنحها لك، ولك أيضًا يا (عسَّاف) كل الحق في الخوف من أن تتخلى عن مبادئك، ولكن لا أحتاج إلى أن تصدقون عُنوة أنني

أريد لكم الصلاح، وتحقيق أهدافكم، فكروا في الأمر بطريقة عملية، وإن وافقتم وقررتم الخوض في هذه التجربة، فأنتم الرابحون، وبمجرد الموافقة ستصل إليكم رسالة أخرى تُعلمكم التفاصيل."

حينما انتهى من قراءة الرسالة صاح (يوسف):

- ما شعرتُ به كان صحيحًا إن هذا الشخص يراقبنا، ولكن كيف؟!

أجاب عليه (عسّاف) بنبرة هادئة:

- اخفض من صوتك يا (يوسف)، أرى أن نفكر في الأمر مرة أخرى، نحن لسنا بمفردنا على كل حال.

صمت للحظات، ثم عاود الحديث قائلًا:

- (سامر)...هل بإمكانك أن تخبرني كم مرة كنتَ على وشك دخول السجن بسبب أعمالك الغير مشروعة في سبيل كسب المال، وتكوين ثروة كبيرة؟

(يوسف)...هل بإمكانك أن تخبرني كم مرة شعرت باليأس والخيبة لعدم قدرتك على أن تصبح معروفًا، أنت جربت كل

شيء تقريبًا...جربت الأعمال المشروعة والغير مشروعة، وأنا أيضًا تعاملتُ بالرشوة كثيرًا لأدخل مجال السياسة وأكون ذو سلطة، نحن الثلاثة فشلنا في تحقيق ما نريد، والآن جاءتنا فرصتنا مُقدمة إلينا على طبقٍ من ذهب، أنا أريد خوض هذه التجربة.

ساد الصموت بينهم قليلًا، قبل أن يقول (سامر):

- ما الذي جعلك تغير رأيك هكذا؟

ابتسم (عسّاف) بهدوء قبل أن يجيب:

- فكرتُ بعملية كما طلب منا مُرسل الرسالة.

نهض (يوسف) من مجلسه وقال:

- سنجرب على ضمانتك يا (عسّاف).

اكتفى الآخر بإيماءة بسيطة تدل على الموافقة، ثم سمعوا صوت رنين الجرس مرة أخرى.

تحرك (سامر) بحركة سريعة، وفتح الباب، ثم أخذ الرسالة وعاد مرة أخرى لهما.

فتح الرسالة، ثم بدأ بقراءة محتواها:

- "ممتاز أنكم وافقتم على عرضي البسيط، الآن يجب عليكم أن تتحركوا إلى المقابر، مقابر (آل المحمدي)، وعنوانها قريبٌ جدًا من هنا، عندما تصلوا إلى نهاية هذا الشارع عليكم بالانعطاف يسارًا وفي نهاية الشارع ستجدون هذه المقابر، حينما تدلفون إليها، استمروا في السير حتى تجدوا قبر الشاب (سُهيل أحمد المحمدي)، وفي هذا الوقت سنبدأ العمل!....

رسالة الموت (الضحية الثانية) ٢

- الأمر أصبح سيئًا لدرجة لم أكن أتخيلها، مهما كان الأمر، أعتقد أن أسوء شيء من الممكن أن يحدث الآن هو أن يظهر لنا شخص من العدم، حينها سيفتضح أمرنا، ومتوقع أن نُساقَ إلى السجن على الأقل!

ما إن أنهى (يوسف) جملته حتي سمعوا صوت جهوري يصيح بهم:

- أي عبث شبابي جاء بكم إلى هنا!

***

في اليوم الرابع عشر من شوال

انتصف الليل، وانطلق الثلاثة شباب في سيارة (سامر) قاصدين مقابر (آل المحمدي) هذه.

سؤالان اثنان كانا يجولان بخاطرهم هم الثلاثة، من هذا الشاب الذي يدعى (سُهيل) الذي عليهم الوصول إلى قبره؟

وما علاقته بالأمر كله أصلًا؟

عليهم أن يقطعوا الشك باليقين حينما يصلوا إلى هذا القبر... ها قد وصلوا.

أوقف (سامر) سيارته بعشوائية، ثم هبط منها وتبعه (يوسف) و (عسَّاف)، كل ما يريدونه الآن ألا يظهر لهم حارس هذه المقابر فسيكون الأمر سيئًا للغاية، خاصة مع صوت مواء القطط، وصوت الهواء الشديد، والظلام الدامس الذي يشعرك أنك داخل أحد أفلام الرعب التي تجعل أعصابك لا تقوى على المواكبة حتى العودة للبيت حتى! ولكن بما أن الرياح تأتي دائمًا بما لا تشتهيه السُّفن، أوقفهم صوت رجل قد شارف على إتمام عقده الخامس، ورغم هذا إلا أن صوته كان كفيلًا بأن يزرع الرعب في قلوبهم حينما قال:

- أنتم أيها الغرباء، ماذا تريدون؟

ظل الثلاثة صامتون، كل واحد منهم ينتظر الآخر أن يتحدث، وكانت النتيجة هي الصموت التام طبعًا.

وبعد مرور بضع لحظات كان (عسَّاف) يقول بنبرة متلعثمة:

- جئنا...جئنا لزيارة قبر هذا الذي يُدعى...يُدعى (سُهيل) نعم....هو (سُهيل).

نظر له الحارس بشك، وقال:

- وهل قتلكم الشوق فجئتم إليه بعد منتصف الليل!

هم (عسَّاف) بالتحدث ولكن كان (سامر) أسرع منه، إذ قال بنبرة عالية بعض الشيء:

- وما شأنك أنت بهذا؟ لا أفهم هل أنت وظيفتك حراسة هذه المقابر؟ أم استجواب كل شخصٍ يأتي إلى هنا؟

ابتسم العجوز بتهكم قبل أن يقول:

- وظيفتي هي حراسة المقابر بالتأكيد...حراسة المقابر من الشباب المتسكعين أمثالكم.

كان (سامر) على وشك تسديد لكمة قوية له، ولكن (يوسف) و(عسَّاف) منعاه، وقال (يوسف) للعجوز:

- أستسمحك يا عم أن ندخل لقبر (سُهيل) في زيارة سريعة، نعدك بهذا.

صمت العجوز قليلًا قبل أن يجيب:

- حسنًا، تفضلوا....ولكن إن حدث أي شيء مريب منكم فسأتصل بالشرطة فورًا.

نظر له (سامر) بسخط قبل أن يدخل المقابر وتبعه (عسَّاف) و (يوسف) على الفور، وأسرع الثلاث يضيئون كشّافات هواتفهم، لتنير لهم عتمة المقابر الموحشة ، أما العجوز فجلس مكانه، وظل يرمقهم بنظرات شك.

***

لم يَطُل البحث عن قبر (سُهيل) طويلًا، إذ قال (يوسف) بسرعة:

- ها هو...

صمت للحظات ثم بدأ بقراءة الكلمات المدونة على لوحة فوق القبر:

- المرحوم بإذن الله تعالى...(سُهيل أحمد المحمدي).

وقف الثلاثة أمام القبر حائرين، لا يعلمون ما هي الخطوة الثانية؟!

لفت نظر (عسَّاف) ورقة صفراء عتيقة مُلقاه جانب القبر، سَلّط ضوء الهاتف عليها وأسرع يأخذها، عاد إليهم قائلًا بصوت منخفض:

- انظرا، هذه ورقة أخرى مؤكد أنها من الرجل المجهول الذي يرسل لنا الرسائل، سنقرأها.

فتح الرسالة على الفور وبدأ بقراءة الورقة التي كان محتواها:

- "ها قد وصلتم...ممتاز، الآن عليكم فتح قبر (سُهيل) ستجدون ورقة صفراء عتيقة مطابقة لهذه الورقة، ستجدون الورقة داخل فمه!، اقرأوا محتواها وبعدها سنلتقي."

نظر لهم (سامر) نظرات قلقة، ثم قال نبرة متعجبة :

- رباه! هذا الغامض يراقبنا بعناية لدرجة أنه يعرف من الذي يمسك الورقة، لا أستبعد أن يكون واقفٌ خلفنا الآن!

آخر شيء كنت أتصوره، هو أن أنبش في قبر ميت، والأدهى من ذلك أن أفتح كفنه وأدور داخل فمه على ورقة!

مستحيل أن أفعل هذا.

قال (يوسف) موجهًا حديثه لـ(سامر):

- اللعنة!

مُرسل الرسالة قال إن علينا التخلي قليلًا عن بعض معتقداتنا، الأمر ليس بهذا السوء أساسًا، سننتهي منه بسرعة، هيا يا شباب سنحفر بمنتهى الهدوء حتى لا يسمعنا هذا الرجل الذي يجلس على باب المقابر.

أنهى جملته، وظل يبحث بعينيه عن جرافة، ليبدأ حفر القبر، وبمجرد أن وجدها حتى أخذها، وبدأ العمل بهدوء تام، و(سامر) و(عسَّاف) فكانا يراقبان المكان بدقة، ظلوا على هذا الحال عشر دقائق تقريبًا، وبعدها نهض (يوسف) من الأرض وقال وهو يلهث:

- وأخيرًا، تمت المهمة...على أحد منكم أن يهبط للقبر ويفتح الكفن، ومن ثَمّ يُخرج الورقة.

ساد الصمت بينهم عدة لحظات قبل أن يقطعه (سامر) بقوله:

- سأهبط أنا وعساف، أحد سيفتح الكفن ويُخرج الورقة، والآخر سيضيئ له، أما أنت فستراقب المكان بحذر ودقة، إياك أن تغفل عنا يا (يوسف) ومهما حدث لا تتحرك من هنا.

أومأ له، وزفر (سامر) بقوة قبل أن يهبط للقبر، ويتبعه (عسّاف).

***

مرت نصف ساعة، الظلام أصبح لا يطاق، كلاهما كانا لا يستبعدان أن ينهض من موتته ويقتلهما! الأجواء مناسبة لذلك جدًا في الحقيقة.

كان (سامر) هو من تولى فتح الكفن، نظرًا لأنه أكثر جرأة من (عسَّاف)، اضطر لأن يسد أنفه، كي لا يشتم رائحة هذه الجثة، يبدو أنه مات منذ ثلاثة أسابيع أو أكثر، فالرائحة لا تطاق، والدود الذي يتجمع على وجهه.... كل هذا يدل على أن الجثة قد شارفت على إتمام مرحلة التحلل، المنظر كان كفيل ليجعل (سامر) يصرخ برعب ويبتعد عنه، وترتب على هذا أن ألقى (عسَّاف) الهاتف من يده، وهرع إلى (سامر) قائلًا:

- اهدأ يا (سامر) سيفتضح أمرنا ونساق للسجن، أنت لا تدري خطورة الأمر، نحن ننبش في قبر متوفي، تراجع أنت وسأكمل أنا.

أومأ له (سامر) بإرهاق وابتعد عنه، وعاد (عسَّاف) يمسك هاتفه ويسلط الضوء على وجه (سُهيل) الذي تحول إلى جمجمة يأكل الدود ما تبقى من لحمها!

حينما رأى هذا المنظر عرف أن (سامر) لم يكن يبالغ حينما صرخ هكذا...الورقة واضحة في فمه، ولكن كيف سيجازف ويضع يده داخل فم الجثة!، أغمض عينيه للحظات في محاولة لاستعادة هدوءه، أخذ يفكر إن أتم هذه المهمة على خير، وأصبح يمتلك النفوذ والسّلطات التي تجعله في غنى عن كل البشر، أسرع يا (عسّاف)، الأمر ليس بهذه الصعوبة فقط خذ الورقة من فمه ولن تحتاج لشيء آخر، وبعدها ستنعم بما لم ينعم به أحد من قبلك.

زفر بقوة، وفتح عينيه، ثم اقترب بسرعة وأخذ الورقة من فمه...الورقة التي كانت امتلأت بالدود المقزز، ولكن أعتقد أن الدود كان شيئًا هينًا جدًا، لأنه بمجرد أن سحب (عسَّاف)

الورقة حتى بدأ القبر يتحرك بقوة وكأن زلزال حل به!، لحسن الحظ كان (عسّاف) سريع البديهة، إذ شدّ (سامر) من مجلسه على الأرض، وأخذ يسارع بالخروج من هذا القبر الملعون، وحينما خرج، وجد (يوسف) يصرخ بهم أن أسرعوا.

وبمجرد خروجهما من القبر حتى هدأ كل شيء، ولكن بالطبع كان هذا هدوء ما قبل العاصفة.

أخذ كل من (سامر) و (عسَّاف) يلهثان بقوة، أما (يوسف) فقال بصوت عالٍ:

- هل تعرفان ما معنا هذا الزلزال الذي حدث بمجرد سحبكم للورقة؟

أقسم أن هذا الشاب كان يمارس السحر، وشخص ما دفن طلسم من طلاسم السحر معه، إن أردتم الدقة فالشخص الذي وضع هذا الطلسم في فمه كان يريد أن يمارس السحر الأسود على جثته!

رد عليه (سامر) بنبرة متقطعة:

- ومن أين جئت بهذه المعلومات؟

همّ (يوسف) بالإجابة، ولكن أخرسهم صوت العجوز الذي قال بنبرة ساخرة:

- كنت أعرف أن غرضكم ليس الزيارة، بل النبش في قبر هذا المتوفي، ولسوء حظكم، أنا اتصلت بالشرطة وهم في الطريق الآن!

بعد كل هذه التضحيات والمجازفات، كان التصرف المتوقع من (سامر) هو أنه هجم على هذا العجوز وأخذ يسدد له اللكمات، أي شخص رأى هذا المشهد سيجزم أن (سامر) لو كان في حلبة المصارعة مع أحد المصارعين فلن يضربه بهذا العنف، وحاول كل من (يوسف) و (عسَّاف) أن يجذبا (سامر) بعيدًا عنه صائحين:

- سيموت في يدك، كف عن هذا بحق الجحيم!

ابتعد (سامر) عنه وهو يلهث بقوة، بينما العجوز فكان يزفر أنفاسه الاخيرة، ولم تمر دقائق قليلة، إلا وأصبح جثة هامدة!

وصاح فيه (عسَّاف) بعصبية:

- بفعلتك الحيوانية هذه أنت قد بدأت تعبث في عداد عمرنا، لقد ارتكبت جريمة قتل أتدرك هذا؟!

رد عليه (سامر) بصوت أكثر علوًا:

- بربك ماذا عليّ فعله وهو يقول لي بكل سماجة أنه أبلغ الشرطة عنا؟

- وأنت ترى أنك بهذه الطريقة حللت المشكلة؟

تدخل (يوسف) قائلًا بنبرة مرتعشة:

- الأمر أصبح سيئًا لدرجة لم أكن أتخيلها، مهما كان الأمر، أعتقد أن أسوء شيء من الممكن أن يحدث الآن هو أن يظهر لنا شخص من العدم، حينها سيفتضح أمرنا، ومتوقع أن نُساقَ إلى السجن على الأقل!

ما إن أنهى (يوسف) جملته حتي سمعوا صوت جهوري يصيح بهم:

- أي عبث شبابي جاء بكم إلى هنا!

التف الثلاثة إلى قائل هذه العبارة الذي كان يرتدي جلباب أسود اللون وعيناه غائرتان كأنهما ليستا موجودتان في

تجويف عينه أصلًا، ولون بشرته ذكرهم بلون بشرة العفاريت في أفلام الرعب، والأدهى من ذلك هي أظافره التي تشبه أظافر النمر!، باختصار... هيئته لم تكن تنتمي لهيئة البشر مطلقًا.

ظلوا صامتين كأن ألسنتهم شُلّت عن الحديث، فابتسم الرجل ابتسامة كشفت عن أسنان سوداء اللون، وقال:

- ما كل هذا الرعب يا شباب؟ أنا الذي أرسل لكم الرسائل! تشرفتم بلقائي أليس كذلك؟!

تقدم منه (سامر) وقال بعصبية هادرة:

- بل تقصد أنك أنت من دمرت حياتنا وما زلت تدمرها أكثر وأكثر، قل لي بربك أين هذا الذي ظللت توعدنا وتمنينا به؟ منذ أن رأيناك لم يحدث لنا سوى الخراب.

قال (يوسف) بنبرة لا تقل شيئًا عن نبرة (سامر) في الحديث:

- وملامح وجهك، وشكلك هذا لا ينتميان لعالمنا أصلًا!

ابتسم الرجل باستفزاز وقال:

- ومن الساذج الذي قال لكم إن ما تريدون أن تحصلوا عليه سيحققه بشري مثلكم؟ ...دعكم من هذا، الشرطة الآن في

طريقها إليكم فعلًا، ونظرًا لما قدمتموه لنا من تضحيات، سأحل لكم أمر هذه الجثة.

وفي لمح البصر، وجدوا أنفسهم يقفون أمام قصرٍ قديم جدًا، بُنِيَ منذ ألف سنة على الأقل!، لونه أحمر قاتم كبيوت الجان التي تشاهدها في أفلام الرعب، وهيئته كئيبة تبعث التشاؤم والكآبة في نفسك دون سبب، والشوارع خلفهم مهجورة، من الواضح أن هذا المكان لم يقربه بشر منذ مئات السنين!، ولكن لحظة....أين الرجل الشبه آدمي الذي كان معهم؟، كل ما كانوا يخافون منه هو أن يكون كل هذا هو مجرد تلاعب بهم، لقد نبشوا في قبر ميت....وقتلوا....

قطع حبل أفكارهم خروج رجل من القصر يقول بنبرة كأنها جاءت من أعماق الجحيم:

- اصعدوا ورائي، هيا.

لفت نظرهم هذا السلم الطويل الذي يفصل بينهم وبين باب القصر، سلم يتكون من مائة سلمة على الأقل، تبادلوا نظرات قلقة، وشرعوا في الصعود، ولكن بمجرد أن لمست أقدامهم أول عتبة، وجدوا نفسهم وصلوا أمام باب القصر، بدأت

دقات قلوبهم تتسارع بخوف، الآن أيقنوا أنهم في عالم خارق للعادة، لا يعرفون ما ينتظرهم بالداخل، كل ما يرجونه ألا يحدث مكروه، أيًا كان...مؤكد أنه ليس هناك أسوء من الذي مروا به في المقابر.

دخلوا القصر، وساروا وراء هذا الرجل الذي يرتدي حرملة طويلة جدًا تسير ورائه كأنها ذيل، لم يكن يشغلهم هيئته، كانوا منشغلين بهذه اللوحات المرعبة الموضوعة على حائط القصر، وجدران القصر المطلية باللون الأحمر القاتم، مؤسف أنهم أدركوا أنهم داخل أحد بيوت الجان بالتأكيد!....

أيقظهم من شرودهم صوت الرجل الذي قال عندما توقف أمام أحد أبواب إحدى الغرف :

- تفضلوا هذه هي غرفة (العرّاف).

أومأ له (يوسف) قائلًا بسخرية:

- وهذا ما كان ينقصنا، جني آخر نجلس ونتحدث معه.

ما إن أنهى جملته حتى اتسعت حدقتا عينيه بدهشة وهو يرى الرجل الذي كان يدلهم على الطريق يختفي كالريح، وباب

الغرفة يُفتح ويظهر منه شخص يجلس على كرسي من جلد ويواليهم ظهره، وغرفته مظلمة لا يضيئها سوى بعض الشموع، وفي منتصف الحجرة توجد منضدة دائرية وجانبها ثلاثة كراسي، وكأنها صُنعت لهم خصيصًا، لفت نظرهم كتاب غلافه سميك جدًا ولونه أسود، المريب في أمره؛ أن على غلافه كانت توجد نجمة خماسية الشكل، على حافة كل ضل من أضلاعها فراغ بيضاوي الشكل، على أحد الأضلاع وُضِعَ حجر الياقوت لونه أزرق، والفراغات الأخرى فارغة!

وقبل أن يحاولوا الاستفسار عن أي شيء، سمعوا صوت هذا الـ(عرّاف) يقول لهم:

- أسعدني قبولكم للهبة الثمينة التي منحتها لكم، دون أن أطيل عليكم الشرح، باختصار شديد الكتاب الذي يوجد أمامكم على المنضدة هو الذي سيحقق لكم كل شيء، طبعًا أعتذر عن كل شيء سيء تعرضتم له منذ خوضكم هذه التجربة المتعبة، ولكن أعدكم أنكم ستنعمون براحة لم ينعم بها بشري من قبلكم.

أسرع (يوسف) بقول:

- حسنًا وما الذي ستأخذه منا مقابل هذه الهِبة - كما تسميها أنت- ؟

أطلق الـ(عرّاف) قهقهة عالية قبل أن يجيب:

- لا تقلق بشأن هذا أنا لا أريد منكم سوى تحقيق آمالكم، وسأأخذ منكم أغلى شيء بإمكانكم تقديمه لي، المهم...إياكم والخوف، إن التمسوا فيكم الخوف لن يرحموكم، وبالمناسبة....ما زال الطريق مفتوحًا، إن أردتم أن تعودوا لدنياكم التقليدية التي لا يوجد بها أي جديد افعلوا هذا، لن أمنعكم، ماذا ستختارون؟

ساد الصمت لبضع دقائق، طبعًا ليس بعد كل هذا سيتركون كل ما بنوه، الأمر أرهقهم للغاية، وضحوا بأشياء كثيرة جدًا، حتى لو أن ما يفعلونه حرام ما المشكلة؟ بعد أن يصلوا لمرادهم سيتوبون إلى الله الأمر ليس معقدًا بهذه الطريقة، المهم الآن هو التركيز فيما ينتظرهم من نعيم.

قال الثلاثة في صوت واحد:

- نوافق على عرضك بالتأكيد.

ابتسم الرجل بخبث وهو يقول:

وأنا أيضًا أتفق معكم.-

***

وبعد مرور بضع دقائق، كان كل من (يوسف) و (عسَّاف) يقفان في صالة بيت (سامر)، قال (عسَّاف) بنبرة مرتعشة:

- البيت لم يدخله أحد غيرنا كيف ترتبت هذه الشموع بهذه الطريقة؟

وكيف وُضِع الكتاب بهذا الشكل؟ كأن هذا التنظيم منسق لنا.

أجاب عليه (سامر) بسخرية:

- أبعد كل هذا لم تعتد على الأمر يا (عسّاف)؟ الرسالة التي دونت على المرآة بالدماء، الرسائل التي تُرسل إلينا من قبل ذاك الجني، يسمعون كل شيء نقوله، نحن تعاملنا مع كائنات من عالم ما وراء الطبيعة.

نظر لهما (يوسف) ولم يعقب على حديثهما، واقترب من مجلس الشموع والكتاب، وجلس، فتبعه الأخران.

فتح (يوسف) الكتاب وقرأ المقدمة التي سُطرت في أول صفحة:

- " لطالما بحثتم عن شيء يجيب على كل أسئلتكم، لطالما أردتَم أن تحققوا المعجزات، لطالما أردتم أن تظهروا للجميع في صورة الأبطال الخارقون، أَعِدُكم أنكم ستجدون مرادكم هنا، ولكنكم حتمًا ستدفعون الثمن!

إياكم والتراجع، لا مجال لهذا الآن، هذه آخر مرحلة من مراحل تجربتكم، وسترتاحون بهدها للأبد!"

أنهى (يوسف) القراءة، ونظر لهما بعينين مرتعبتين، فطمأنه (سامر) بنظرة هادئة أي اطمئن.

عاد (يوسف) يقلب في صفحات الكتاب فوجد في وسط الصفحة الثانية عنوان كُتِب بخط سميك:

"الضحية الأولى:

(سُهيل آل المحمدي)"

أمسك الكتاب بقبضته ثم التف إلى (سامر) و (عسَّاف) قائلًا بتعجب:

- انظرا، أليس هذا هو اسم الشاب الذي كنا نبحث في قبره عن الورقة؟ إن قصة حياته مكتوبة في هذه الصفحة، تُرى ما معنى هذا؟

أخذ منه (عسّاف) الكتاب وقال:

- لنقرأ ونرى إذًا.

ساد الصمت بينهم لمدة خمسة دقائق، ثم قطعه (عسَّاف) بقوله:

- هذا الشاب كان يبحث عن معلومات عن الجان، ويبدو أنه أخذ هذا الكتاب مثلنا تمامًا، ولكن يبدو أيضًا أنه أساء استخدامه بطريقة ما أدت إلى وفاته.

ازدرد (يوسف) لعابه بصعوبة قائلًا:

- هذا يعني أننا نقدم على فعل شيء خطير جدًا.

هز (سامر) كتفيه بلا مبالاة وهو يقول:

- أعتقد أن الخوف ليس له داعٍ هنا، لأنه وببساطة شديدة لا مجال كي نتراجع، وأيضًا كما قال (عسَّاف) "يبدو أنه أساء استخدامه مما أدى إلى وفاته"

الجدير بالذكر هنا...هو ما علاقتنا أصلًا بقصة حياته؟ أريد أن أفهم ما الرابط الذي يربطنا به....رابطٌ جعلنا ننبش في قبره، ومن ثمّ نقرأ قصة حياته يبدو أنه رابطٌ قوي جدًا و....

قاطعه (يوسف) بنبرة عالية:

- انظرا...انظرا ماذا يُكتب في الصفحة الفارغة:

"الأسئلة الكثيرة ستودي بحياتكم، (سُهيل) كان فضولي مثلكم تمامًا، وكانت النتيجة أنه مات قبل أن يصل للنعيم الذي يريده، اقرأوا الطلاسم في الصفحات التالية، ولا تهتموا بشأن باقي الصحف البيضاء التي لم يمسها حبر، هذا ليس من شأنكم."

أخذ الثلاثة يتنفسوا بقوة، قبل أن يشرعوا في قراءة الطلاسم التي وجدوها فعلًا في الصفحة التي تلي هذه الصفحة مباشرة.

***

مع كل كلمة كانوا يقرءونها كانت الشموع تنطفئ، ثم تعاود الإضاءة مجددًا، ويشعرون أن هناك أشخاص كثيرة يجلسون معهم، شعروا أنهم ضحوا بحياتهم حينما وافقوا على خوض

هذه التجربة المميتة، ولكن كان هذا بكامل إرادتهم، لم يُجبروا على أي شيء.

انتهوا من قراءة الطلسم أخيرًا، شعروا بدوار تام، لا يستطيعون فتح أعينهم حتى، الرؤيا تنعدم من حولهم شيئًا فشيئًا، ثم تلاها ظلام تام!

***

"جريدة الأخبار تكشف عن وجود حادثة غريبة حدثت في إحدى الأحياء الراقية أسفرت عن وفاة ثلاث شباب في ظروف غامضة، بعد التحري، ودخول بيت الضحايا، وجدوا طلاسم عديدة على أجسادهم تفيد أنهم كانوا يمارسون السحر بطريقةٍ ما أدت إلى وفاتهم، وتم غلق ملف القضية؛ نظرًا لعدم وجود أي أدلة تفيد تورط شخص ما في هذه الجريمة."

***

أمسك (العرَّاف) ثلاث أحجار من الياقوت، وابتسم بمكر وهو يضعهم في الفراغات البيضاوية، وأخذ يقهقه بسعادة وهو يرى الأحجار تومض بقوة وينبعث منها بريق قويّ يشكل الحروف

الأبجدية وهي تدون قصة الضحايا داخل الكتاب، وحينما انتهت، اختفى بريق الأحجار، وأُغلق الكتاب مرة أخرى، وعاد إلى لونه الأسود القاتم.

أخذت ابتسامته تتلاشى وهو يقول بنبرة حملت الكثير من المكر:

- حجرًا واحدًا آخر يضاف وسأكون قد أتممت مهمتي، وأحقق ما أتمنى!

ليتني لم أفعل! (الضحية الخامسة)

صحيح ما فعلته عين الصواب...ولكني أشعر أن هذا عقاب لي من الله؛ لأني وافقتُ على العمل في مكانٍ مشبوهٍ كهذا، ولكن لم تكن هناك فرصة أخرى لكسب المال سوى هذه.

كفايَ سذاجة، المسلم الحق هو من يمتنع عن فعل أي شيء حرمه الله عليه، حتى لو كلفه ذلك حياته، ولكن ماذا أفعل؟! ساعدني يا الله.

توقفتُ عن النحيب والبكاء حينما سمعتُ صوت رجل عجوز يقف خلفي، ويقول:

- هل بإمكاني المساعدة؟!

***

٢٠٠٥ عام

منذ فجر ولادتي تخلى عني والداي، وألقوا بي في قارعة الطريق!

من المؤكد أن الموت هو المصير المحتوم لرضيعة مثلي، فمن أين لي بالنجاة؟ وقد تخلى عني من كانا السبب في وجودي.

كنت قطعة لحم حمراء، كل ما تحتاجه هو العناية والاهتمام، لم أحصل عليهما إلا حينما وجدتني السيدة (كريمة) وهي كانت كريمة بحق، ربتني في بيتها وتكفلت برعايتي إلى أن بدأت في النضج، وبدأت معالم الأنوثة تظهر على جسدي في استحياء، وأطلقت عليّ اسم (هايدي)، لذا كانت كثيرًا ما تقول لي:

- "كنتُ أتمنى أن أتزوج وأنجب فتاة تكن لي كل شيء، وتمنيت أيضًا أن أسميها (هايدي)، ولكن شاء الله ألا أتزوج، وجئتِ لي بعدما كنت يئست من الحياة، أصبحتِ لي كل شيء، وأحب دائمًا أن تناديني بـ(يا أمي)"

عشتُ معها إلى أن أتممت عامي الثامن عشر، وبعدها توفت!

أمي التي انتشلتني من الشارع وربتني توفت، وتركتني أواجه الحياة بمفردي.

العمارة التي فيها بيت السيدة (كريمة) كانت مكونة من عشر طوابق، كان بيتها في الطابق الثاني، وفي الطابق الأول كان بيت

السيدة (نُهى) صاحبة العمارة، جميع سُكان المبنى كانوا يعرفون أنني لستُ ابنة السيدة (كريمة) وكان لها كل الحق في إخبارهم بالحقيقة، فكيف لسيدة لم تتزوج قط أن تنجب فتاة؟

بمجرد أن عرِف الجميع بخبر موت السيدة (كريمة) أصرت صاحبة العمارة تلك التي تُدعى (نُهى) أن تبيع شقتها وتستفاد من النقود التي ستأتي لها من هذه التجارة، وترتب على ذلك أنها طردتني من المنزل، وعدتُ أواجه هذه المأساة مرة أخرى.

طوال سنين حياتي التي عشتها مع أمي، تكفلت هي بتعليمي القراءة والكتابة، وعلمتني العلوم الشرعية، بعض الأحكام الفقهية التي تخص النساء، وأحكام أخرى في حياتنا، لم أفهم حينها السر في وراء عدم رغبتها في أن أحتك بأي أشخاص سواها!

حتى أغراض المنزل كانت هي التي تبتاعها، أو تطلب من عم (حسين) البواب أن يجلبها لها، لم أكن أعرف أي شخص في المنطقة، ولم أتعامل مع أي شخص إلا هي، إلى أن توفت،

فاضطررت لأعتمد على نفسي، وهذا آخر شيء كنت أرغب فيه!

***

الساعة الآن الثانية بعد منتصف الليل، كنتُ أتجول في شوارع المنطقة كالبلهاء، لا أعرف ماذا ينبغي عليّ فعله؟

أريد أن أجد مكان آوي إليه، حتى هذه الليلة فقط وسوف أرحل بعدها، ظلمة الليل موحشة، ولكن بالطبع ليست كظلمة قلبي، تُرى هل شعر والداي بالندم؟

مؤكد لا، فأمثال هؤلاء الأشخاص لا يعرفون معنى الإنسانية فكيف سيصيبهم الندم على شيء فعلوه بإرادتهم؟

انقطع سيل أفكاري حينما تعبتُ من السير، سأجلس هنا على رصيف الشارع، ريثما أجد أي سيدة أطلب منها المساعدة.

ظللتُ على هيئتي تلك، تارة أبكي بوهن، وتارة أخرى أتجول في هذه الشوارع علّ وعسى أجد أي شيء يحميني من هذا الظلام الدامس.

لا أعرف كيف ومتى استسلمتُ للنوم على جانب الرصيف، ولم أشعر بنفسي إلا مع ظهور أول خيوط النهار، نهضتُ فزعة من مكاني، وتلمست أطراف شعري الناعم، ومن ثَم أخذتُ أزيل عن ملابسي وردية اللون التراب الذي التصق بها.

أكادُ أسمع صوت معدتي وهي تتلوى طالبة للغذاء، ولكن من أين أأتي بالمال لشراء الطعام؟

كيف سأعيش هكذا؟!

يجب أن أجد حلًا.

وقفت على قدماي بإرهاق، وبدأتُ أهندم من هيئة شعري وملابسي، وبعدها اتجهتُ إلى عدة محلات طالبة للعمل، ولكن للأسف كانت أغلب الإجابات:

"عُذرًا لا يوجد لدينا عمل" "لا... نحن بحاجة لشباب"

حاولتُ أن أجد أي مكان أجلس فيه ولكن...ولكن أخذت الرؤيا تقل من حولي رويدًا رويدًا، كيف هذا؟!، آه أشعر أن قوايَ تنعدم، ثم أصبح كل ما حولي ظلامٌ تام!

***

وضعتُ قدمي على أول درجة من درجات السلم غريب الأطوار، مع كل درجة كنت أجتازها، كنت أشعر أنني أتخلى عن نفسي!

هل تدرك شعور أن تكون بكامل قواكَ العقلية والجسدية، ولكن شيء ما يتحكم بك، شيء ما يجعلك لا تقوى على فعل أي شيء، هذا هو الحال معيَ تمامًا، كلما كنتُ أتقدم في الصعود كان باب بيت كبير أمامي يُفتح، لم أستطع حينها أن أميز ماذا يخفيه هذا البيت وراء هذا الباب الكبير؟

ولكن عرفتُ وليتني لم أعرف.

كان يُخفي نار...نارٌ شديدة، كتِلك التي تختبئ ثم تخرج من بطون البراكين، ظللتُ أتراجع في محاولة للابتعاد ولكن أحدهم كان يدفعني، ويُجبرني على السير، أشعرُ أن قواي تضعف مرةً أخرى، وأسمع أصوات متداخلة من حولي استطعت تمييز جمل بسيطة أتذكر منها:

- "ألا ترى جمالها؟!، هي مكسب لنا، ولن نصارحها بنوايانا في البداية بالتأكيد، انتظر....أولًا سنجعلها توافق على العمل ومن بعدها...."

أشعرُ بألم في رأسي يكادُ يفتك بي.

نهضتُ فزعة من ذاك الفراش الوثير على صوت شاب يقول:

حسنًا لنفعل هذا، ونأمل أن ننجح.-

كان العرق البارد يغلف جسدي الصغير، كنتُ جالسة على فراش مرتب ومريح، والغرفة التي أجلس فيها مع هذان الغريبان كانت تشبه غُرَف الفنادق، أخذتُ أتأملها برعب وأنظر إلى الشابان اللذان يجلسان على أريكة في جنب من جوانب الغرفة.

وأخيرًا بعد دقائق كثيرة من الصمت التام، تخليتُ عن سكوتي وقلت:

- من أنتما؟ وأين أنا؟ وكيف جئتُ إلى هُنا أساسًا؟

نهض شاب منهما وتقدم مني، كان طويل القامة وعريض المنكبين، ملامحه لم تكن مريحة أبدًا، أفقت من شرودي على صوته وهو يقول بهدوء:

- اهدئي يا فتاة لا داعي لهذا كله، أنا اسمي (حامد) وهذا صديقي (سليم)، هذا جوابي بخصوص سؤالك الأول، وأما السؤال الثاني فأقول:

- أنتِ في أكبر وأشهر ملهى ليلي في مصر، وهذه غرفتي الخاصة، وأنا و(سليم) أصحاب المكان، وأما بخصوص سؤالك الأخير، كنا نسير في الشارع ورأيناكِ حينما أُغشيَ عليكِ، لم يتقدم أحد لمساعدتك؛ خشية من أن تكوني ميتة!

ابتلعتُ لعابي بصعوبة وأنا أقول:

- وماذا تريدان مني؟

سحب (حامد) كرسي كان في ركن الغرفة وجلس أمامي قائلًا بابتسامة ماكرة:

- سأقول لكِ، الملهى كبير جدًا ونحن بحاجة لفتاة في مثل عمرك تعمل كـ"نادلة" تقدم المشاريب للزبائن وما شابه، ولم نجد أنسب منك.

حاولت النهوض وأنا أقول بعصبية:

- وهل تظن أنني سأوافق على العمل في هذا المكان المشبوه؟

لا لستُ موافقة، ابحث عن فتاة توافق على التخلي عن مبادئها غيري.

نهض من مجلسه، وابتعد عني قائلًا وهو يدير وجهه عني:

- إذًا عودي إلى التسكع في الطرقات مرة أخرى، ولكن جهزي نفسك للتسول، فلن تجدي وسيلة لكسب المال سوى هذه.

أطرقتُ برأسي أفكر قليلًا، كان محقًا، فمن أين سأكسب المال؟

ليس معي بضع جنيهات حتى أكتم بها صراخ معدتي التي لم تذق الطعام منذ ليلتين، سأوافق وحينما أجمع مبلغ جيد من المال ساترك العمل وأستغل المال في أي مشروع، برأيي ليس لديّ حل آخر، وأيضًا عملي ليس حرام لهذه الدرجة...

الاعتراض على تقديم النبيذ أليس كذلك؟

ولكن ما المشكلة؟ كل من طلب النبيذ أو المخدرات كان بمحض رغبته بالتأكيد، يعني إن رفضتُ العمل لن يمنع رفضي الناس من شرب الخمر والمخدرات!

سأوافق مضطرة.

تنهدتُ بقوة وأنا أقول بنبرة متوترة بعض الشيء:

- موافقة ولكن سأعمل في تقديم المشروبات فقط، اتفقنا؟

تهللت أسارير (حامد) و(سليم) وهما يقولان:

- اتفقنا طبعًا.

أسرع (سليم) يقول:

- (حامد) استدعِ (سُهى) واجلب الطعام لعزيزتنا...

بتر جملته الأخيرة، وصمت قليلًا، ثم قال:

- صحيح ما اسمك؟

ابتسمتُ بهدوء وأنا أجيبه:

- اسمي (هايدي).

***

انقضت ساعات النهار بين تجهيزي للعمل، وبين تجوالي في الملهى؛ لأتعرف عليه.

كنتُ خائفة، أشعر أنني أقدُم على فعل شيء خطير، ولكن أنت ترى، ليس لديّ فرصة سوى هذه.

جلستُ في غرفة (حامد) ووضعتُ رأسي بين كفايَ، وأفكر.....

أريد فقط جمع المال وسأترك العمل، أتمنى ذلك.

جذب انتباهي صوت حذاء (سُهى) ذو الكعب العالي وهي تنقر به على الأرض وتتقدم مني، وقالت بابتسامة:

- أصبحتِ على أتم الاستعداد لبدء العمل معنا، لم أتوقع أن تصبحي حسناء لهذه الدرجة في الفستان الأسود، وأيضًا فَرد خصلات شعرك بالمكواة جعلكِ فاتنة جدًا.

ابتسمتُ لها ابتسامة هادئة وأنا أقول:

- أشكرك كثيرًا، ولكن أستأذنك أريد شرحًا وافيًا لطبيعة العمل هنا، أنا لم أعتد على دخول مثل هذه الأماكن...لم أدخلها قط من الأساس!

اكتفت بإيماءة بسيطة وهي تجلس بجانبي على الأريكة، ومن ثم قالت:

- حسنًا...لا مشكلة.

هذا الملهى من تأسيس (حامد) و(سليم) هما صديقان مقربان جدًا.

نبدأ العمل من التاسعة مساءً إلى الخامسة صباحًا.

ينقسم الملهى إلى طابقين، الطابق الأول الذي نحن فيه الآن، وفي صالة رقص يتجمع فيه كافة الفتيات والفتيان، والطابق الأسفل لا أنصحك بالنزول إليه مطلقًا و....

قاطعتها بفضول:

- لماذا؟ ماذا يوجد في الطابق الأسفل؟

نهضت وتجولت في الغرفة بخطوات مرتبكة ومتوترة، تجنبت الإجابة على سؤالي عدة دقائق، وبعدها تخلت عن سكوتها قائلة:

- ليس من شأني أن أجيب على سؤالك، أنا هنا لأخدم الزبائن...أي مثلك تمامًا، إن أردتِ معرفة إجابة على سؤالك اسألي (سليم) أو (حامد)، ولكني أنصحك بعدم فعل هذا مطلقًا؛ من أجل الحفاظ على سلامتك.

أثار جوابها هذا فضولي وخوفي في الوقت ذاته، أيًا كان ما يوجد في الطابق الأسفل....أشعر أني في خطر، ما كان يجب عليّ الموافقة على العمل مع هؤلاء الغرباء، أرجو أن يمر هذا الوقت على خير.

عدلتُ من جلستي حينما وجدتُ (سليم) يدخل الغرفة ويقول باستغراب:

ماذا تفعلان في غرفتي؟

ارتبكنا نحن الاثنتان، أنا لم أفعل شيئًا فقط كنتُ أجلس هنا؛ لأجهز نفسي قبل اقتراب موعد العمل.

أسرعت (سُهى) تقول بنبرة هادئة تعجبت منها كثيرًا:

- كنتُ أشرح لها طبيعة عملنا، نعتذر بالطبع إن كنا سببنا أي إزعاج.

ابتسم لنا بهدوء وقال:

- لا...لا يوجد أي إزعاج...ولكن هيا الساعة تقترب من التاسعة.

تنهدتُ بقوة قبل أن أنهض وأسير خلفهما متوجهة إلى مكان عملي...تمنيتُ كثيرًا ألا يحدث لي أي مكروه، ولكن غالبًا...تأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن!

***

صوتُ الأغاني الأجنبية كان عاليًا لدرجة كادت تؤثر على حاسة السمع عندي!

لم أعتد على التواجد في مثل هذه الأماكن، لم أر مثلها قط إلا في الأفلام.

كنتُ منهمكة في صب الخمر للزبائن عند المشرب، وأحاول جاهدة أن ألتزم بكافة التعليمات التي قالتها لي (سُهى).

ملابس الفتيات كانت عارية لدرجة جعلتني أشعر بالاشمئزاز منهن ومن....ومن نفسي!

هناك شاب يقترب مني ويتفحص جسدي بنظرات جعلتني أرتجف، ومن ثم قال حينما كان يقف أمامي، ولا يفصله عني سوى المشرب:

- مرحبًا يا حسناء...أنرتِ المكان، ستستمتعين هنا كثيرًا.

اكتفيتُ بابتسامة مرتبكة، وأكملتُ ما كنت أفعله، فتابع:

- أنا (بشير) ومن أنتِ؟

حمدتُ الله أن (سُهى) أتت في هذا اللحظة، وقالت موجهة حديثها لـ(بشير):

- مرحبًا يا (بشير) ماذا تريد؟

أجاب عليها بابتسامة ماكرة:

- أريد حصتي من النوع الجديد، لقد دفعت الثمن لـ(سليم) وأخبرني أنه معكِ، ولكن حينما رأيتُ هذه الفاتنة أنستني ما جئتُ إليه.

أخرجت من جيب تنورتها كيسًا شفافًا يحوي "مخدرات"!

وضعتُ يدي على فمي لأكتم صرخة كادت تفلت مني، وأسرعتُ أقول لـ(سُهى) بعد أن رحل (بشير) من بيننا:

- هل جننتم؟! أَتُتَاجرون في المخدرات؟! مستحيل، أنا أعرف أن وجودي هنا كان خطئًا من البداية، سأرحل.

هممت بالرحيل فعلًا، ولكن أوقفتني حينما مسكت يدي، وقالت بنبرة مرتبكة:

- ا....انتظري يا فتاة ما بكِ؟ هذا شيء طبيعي يحدث في كافة الملاهي الليلية، وكل ما يبتاعون هذا الشيء يأخذوه بمحض إرادتهم، نحن لا نجبرهم على شيء، وأيضًا أنتِ بحاجة إلى المال،

لا تتصرفي بحماقة، اجمعي مبلغًا جيدًا، وبعدها فكري في الرحيل على راحتك...لن نجبركِ على شيء.

بدا كلامها مقنعًا لي بعض الشيء، تنهدتُ بقوة في محاولة لإخراج الطاقة السلبية التي سيطرت عليّ، وعدتُ مرة أخرى أمارس عملي.

***

وأخيرًا انتهى اليوم على خير، أغلقنا الملهى، وتركني (سليم) في غرفة (سُهى) التي تجلس فيها أثناء وقت الراحة...نسيتُ أن أقول لك، أن في هذا الملهى غرف عديدة مخصصة للعاملين فيه، وإلى أن تُجَهّز غرفتي، سأجلس مع (سُهى) ورحبت هي بالفكرة كثيرًا.

بمجرد أن بدلت ثيابي بثياب أخرى احضرتها لي (سُهى) ذهبتُ إلى الفراش وتدثرتُ جيدًا.

كانت تتحاشى الحديث معي بقدر الإمكان، حتى لا أسألها عن أي شيء بخصوص هذا الملهى المريب.

أما أنا فكنتُ منهكة لدرجة جعلتني أنغمس في النوم، وأجلتُ كل الأسئلة التي أريدُ أن ألقيها عليها إلى أن يحين وقتها!

***

مرّ أسبوعان على هذا الحال، أحاول جاهدة أن أتقن عملي حتى أستلم راتبي، فلم يتبقى على ميعاد تسليم الرواتب سوى أسبوعًا واحدًا، هذا الشيء كان سببًا كافيًا لأعمل بكل طاقتي وجهدي.

ولكن لم أكن أعرف أن الليلة ستكون آخر ليلةٍ لي في الملهى!

***

كالعادة....دقت التاسعة مساءً، وبدأنا جميعًا نعمل...

وقفتُ أسكب الخمر في الكاسات عند المشرب، وأسلمها للنادل؛ ليوصلها إلى الزبائن.

توقفت عن العمل حينما وجدتُ (حامد) يتقدم مني، ويقف أمامي، وعلى وجهه ابتسامة خبيثة، وقال:

- مساء الخير يا عزيزتي، أتمنى أن تكوني بخير.

ابتسمت له ابتسامة مجاملة وأنا أقول:

- أنا بخير، وأتمنى أن تكون أنت أيضًا بخير.

أسرع يقول:

- أنا كذلك....أخبريني يا فتاة...ما رأيك في عمل آخر يزيد من دخلك الشهري؟

أجبتُ بنبرة مترقبة:

- بالتأكيد أود ذلك.

نسج المكر خيوطه على وجه (حامد) الذي أسرع يقول:

- حسنًا، انظري معيَ على هذه الطاولة بجانب ساحة الرقص، وجِّهي نظرك على هذا الشاب الذي يرتدي قميصًا أسود اللون، ويمسك كأس الخمر في يده.

رفعتُ رأسي قليلًا؛ لأستطيع رؤية الشاب الذي يتحدث عنه، فرأيتُ شابًا وسيمًا بعض الشيء، وينظر لي كأنه في انتظار جوابٍ على سؤالٍ ما!

سألتُ (حامد) بنبرة متحيرة:

- نعم رأيته، ماذا تريد منه؟ وما علاقته بموضوعنا من الأساس؟

ترك الكأس الذي كان يمسكه بين يديه على الطاولة، وقال:

- هذا الشاب الغني يريدك معه ليلة....ليلة واحدة فقط.

لم أشعر بنفسي إلا حينما صفعته على وجهه بقوة، وأنا أصيح:

- أتظن أنني سأوافق على عرضك هذا؟! أنت مجنون إذًا، إن كنت تتخيل أنك ستستطيع استعبادي لظروفي فأنت مخطئ، لن أتخلى عن ديني أبدًا يا هذا....أبدًا.

توقف الجميع عن الرقص واللهو، ووقفوا يستمعون لنا بفضول، وحيرة، وعدم فهم.

جذب (حامد) خصلات شعري، واقترب من أذني وهو يقول بنبرة تشبه فحيح الأفاعي:

- من الواضح أنني حينما اعتبرتك "إنسانة" تمردتِ عليّ، أنا من صنعك يا هذه، وسأعيدك إلى مكانك الأصلي...الشارع، هناك ستعرفين قيمتي، وستعرفين أيضًا أنكِ لستِ بحجم كلامك هذا أبدًا.

ابتعد عني، وبعدها هتف بغضب:

- أنتِ مطرودة.

وعدتُ للشارع مرةً أخرى!

ولكن لم أندم على قراري، هذا الوغد يريد مني أن أعمل كفتاة ليل! وأمارس الرذيلة، أبدًا لن أفعل هذا.

ملابسي كانت توحي بأنني فتاة من الطبقة الراقية، كيف سأقنع المارة أني فتاة بسيطة بحاجة لمكان أبِيت فيه حتى الصباح.

توجهتُ إلى الرصيف، وجلستُ عليه واضعة وجهي بين كفي...وبكيتُ بوهن!

صحيح ما فعلته عين الصواب...ولكني أشعر أن هذا عقاب لي من الله؛ لأني وافقتُ على العمل في مكانٍ مشبوهٍ كهذا، ولكن لم تكن هناك فرصة أخرى لكسب المال سوى هذه.

كفايَ سذاجة، المسلم الحق هو من يمتنع عن فعل أي شيء حرمه الله عليه، حتى لو كلفه ذلك حياته، ولكن ماذا أفعل؟! ساعدني يا الله.

توقفتُ عن النحيب والبكاء حينما سمعتُ صوت رجل عجوز يقف خلفي، ويقول:

- هل بإمكاني المساعدة؟!

آخر شيء رأيته هو وجه السيدة (سماح) حينما تحول من هيئته الآدمية إلى وجه آخر مرعب! كانت تحمل في يدها عصا غليظة، هَوَت بها على رأسي وهي تصرخ في وجهي بغضب، بعدها....بعدها سقطتُ على الأرض أحاول الإنصات إلى كلماتها المجهولة التي كانت –غالبًا- تعاويذ!

ولكن هيهات....لم أستطع تميز حرفًا واحدًا؛ إذ أخذت الإضاءة تضعف رويدًا رويدًا، والرؤيا تنعدم من حولي، حتى أصبح كل شيء عبارة عن ظلام تام!

***

انتفضتُ من جلستي واقفة، ونفضتُ التراب عن ملابسي، ثم نظرت لهيئة المتحدث....

كان رجلًا عجوزًا، من الصعب أن تميز ملامحه من كثرة التجاعيد التي كَسَت وجهه، فقط تستطيع أن تعرف أن هذا الرجل تقدم في السن إلى حد كبير جدًا، كان يرتدي جلبابًا بيتيًا وبيده يحمل

أكياس تحوي الخبز والجبن، ثمة شيء مُريح في وجهه جعلني أطمئن له، فقلتُ بنبرة هادئة:

- لا، أشكرك.

ابتسم لي بهدوء قبل أن يقول:

- يبدو أنكِ لا تملكين مكانًا للمبيت فيه، يمكنني استضافتك في بيتي، زوجتي سترحب بك كثيرًا، خاصة أننا لم نرزق بأطفال.

شعرتُ بالراحة من حديثه، ولكن كيف يمكنني الوثوق به؟

ليس لدي حلٌ آخر، فوافقتُ على عرضه.

طوال سيري بجواره، كنتُ أشعر بالخجل الشديد من ملابسي الفاضحة، تمنيتُ لو أني لم أعمل في هذا المكان أبدًا، ولكن لن أكرر هذا الخطأ مرة أخرى، المسافة كانت طويلة بعض الشيء، قلتُ له اسمي، وذكر لي أن اسمه (حافظ) وزوجته اسمها (سماح) شعرتُ براحة كبيرة وأنا معه، أحسستُ أن الأمان عاد ليضمني مرة أخرى.

وصلنا إلى مبنى قديم نسبيًا، ذكرني بمبنى أمي (كريمة)، صعدتُ معه على درجات السلم إلى أن وصلنا إلى شقته، أولج المفتاح في

الباب فسمعتُ صوت الباب يُفتح، ومن خلفه طلت زوجته (سماح) قائلة بوقار:

- حمدًا لله على سلامتك، لقد جهزتُ لك العشاء.

قابل السيد (حافظ) جملتها بابتسامة دافئة، ودخل البيت، وتبعته في استحياء، ظهر الاستغراب على وجه السيدة (سماح)، وقالت:

- من هذه؟

جلس زوجها على أقرب كرسي قابله، وقال:

- سأشرح لكِ فيما بعد.

صمت للحظات ثم تابع:

- اجلسي يا ابنتي لتتناولي معنا الطعام، وأنا سأذهب لأبدل ثيابي.

وبالفعل تحرك ببطئ اتجاه غرفته الخاصة، وأغلق الباب، وبقيت أنا مع زوجته، ثمة شيء غريبٌ في وجهها، شيء جعلني أشعر أنها تضع قناعًا على وجهها تداري به هيئتها الحقيقية، لم أشعر تجاهها بأي راحة، وتمنيتُ لو أن السيد (حافظ) يخرج من حجرته سريعًا، فأنا لا أريد أن أبقى معها ولو للحظة واحدة.

كان الصمت هو سيد الموقف، ظننتُ أننا لن نتحدث إلى أن يخرج زوجها، ولكن قطعت هي الصمت التام حينما قالت:

- أهلًا بكِ يا (هايدي) أنرتِ المكان!

سارت رعشة قوية في جسدي، لم أعرف هل سببها الخوف الذي تملك مني حينما نطقت اسمي وأنا واثقة أن هذا هو لقائنا الأول؟ أم ارتعش جسدي من أثر المفاجأة؟

سألتها بنبرة مرتعشة بعض الشيء:

- أشكركِ، ولكن كيف عرفتِ اسمي؟

أسرعت تُجيب:

- نحن نعرف كل شيء دون الحاجة لمساعدة أحد.

ظللتُ أنظر إليها دون أن أنبس ببنت شفة، لِمَ تتحدث بصيغة الجمع؟!

تأملتُ وجهها المستدير، وعينيها الزرقاوان...نعم عينيها...حينما أنظر إليها أشعر أني مُغيبة وغير قادرة على اتخاذ قرار، هذا الشعور جعلني أدير وجهي عنها، وألتزم الصمت، دون النطق ولو بكلمةٍ واحدةٍ.

وبعد دقائق معدودة خرج السيد (حافظ) من غرفته، وجلس هو وزوجته يتناولان العشاء، أما أنا فكنتُ خائفة، أشعر بعدم الراحة هُنا، صحيح أن السيد (حافظ) يبدو لَيّن الطبع، ولكن زوجته بها شيء غريب....أو كلاهما يمتلكان نفس الغرابة...أو....لا أدري!

أصر السيد (حافظ) أن يجعلني أأكل معهما، وفي الحقيقة كنتُ جائعةً جدًا، فتناولتُ بعض اللقيمات البسيطة ولم أستطع إنهاء طعامي؛ لأني شعرتُ بدوار بسيط، تبعه ألم في معدتي، فجلستُ صامتة ريثما ينتهيان من تناول طعامهما.

قطع الصمت السيد (حافظ) حينما قال:

- (هايدي) هناك غرفة زائدة في البيت، بإمكانك المبيت فيها.

أومأتُ له برأسي في صمت، وبعد مدة لا تقل عن العشر دقائق، نهضت السيدة (سماح) واتجهت لغرفتها وغابت لدقائق قليلة، ثم عادت وهي تمسك في يدها جلبابًا بيتيًا، وقالت وهي تعطيني إياه:

- تفضلي، هذا جلباب كان عندي، أعتقد أنه سيناسبك.

ابتسمتُ لها بخجل وقلت:

- أشكرك كثيرًا.

لم تبادلني الابتسامة، فقط قالت:

- هيا تعالي معي لأريك غرفتك.

أومأت لها برأسي في صمت، ثم تبعتُ خطواتها بهدوء.

على حائط منزلهما كانت توجد صور كثيرة، تجمع السيدة (سماح) وزوجها، السعادة البادية على وجههما أوحت لي أنهما يعيشان حياة هادئة، لكن إن تأملت الصورة ستجد أن عين السيدة (سماح) غير طبيعية! لا أعرف تحديدًا السبب الذي جعلني أقول هذا، لكني شعرتُ بضيق حينما أطلتُ النظر في عينيها، شيء ما جعلني أشعر أنها ليست حقيقية! هي كائن أشبه بالإنسان الآليّ، وإن كان تفكيري صحيحًا...كيف يعيش السيد (حافظ) معها؟!

أفقت من شرودي على صوتها وهي تقول:

- تفضلي يا ابنتي، هذه هي الغرفة، أتمنى أن تنال إعجابك، تصبحين على خير.

أنهت جملتها وعادت إلى زوجها، وأنا دخلت الغرفة، وأغلقت الباب خلفي.

أثاث الغرفة كان بسيطًا للغاية، منحني شعور بالراحة....الشعور الذي لم أذقه منذ أن ماتت أمي، تنهدت بألم، ونهضتُ أبدل ثيابي، ثم تمددتُ على الفراش متأهبة للنوم.

***

كنتُ متوترة وأنا أتجول في هذا القصر العتيق، ألوانه...اللوحات التي تزين جدرانه....الجدران ذات اللون الأحمر...كل هذا جعلني أخاف من السير في هذا المكان، ولكني كنتُ مسلوبة الإرادة! وكأني حينما أدخل إلى هنا أترك إرادتي خلف باب القصر، وأُلَوِّح لها مُوَدِّعَة!

شيء مثير للدهشة إن قلت لك أن هذا القصر الضخم به غرفة واحدة فقط!

ولكن هذا ما وجدته حينما تجولت فيه، بدأ الفضول يتسلل إليَّ وسرت باتجاه الباب المغلق، مددتُ يدي وهممتُ بفتحه ولكن.....

"لم يكن حقيقة، فقط كان حلمًا!"

هكذا تمتمتُ في خفوت وأنا أنهض من فراشي بكسل حينما سمعتُ صوت آذان الفجر، سرتُ بخطوات بطيئة إلى الحمام، توضأت، ثم وقفت في منتصف البيت وقلت بصوت عالٍ بعض الشيء:

- سيد (حافظ)، سيدة (سماح) هيّا....انهضا، لقد أُذِّنَ لصلاة الفجر.

لم أجد ردًا، فعاودتُ النداء مرة أخرى، ولكن ما من إجابة!

سِرتُ بخطوات متوترة باتجاه غرفتهما، فوجدتُ الباب مفتوحًا! حاولتُ تكذيب نفسي حينما أوحت لي أن الغرفة فارغة!

ولكن هذا مستحيل...أين ذهبا إذًا؟

تنهدتُ بقوة، ثم اقتربت من الغرفة، وضغطت على مِفتاح الإضاءة،

و.....آخر شيء رأيته هو وجه السيدة (سماح) حينما تحول من هيئته الآدمية إلى وجه آخر مرعب! كانت تحمل في يدها عصا غليظة، هَوَت بها على رأسي وهي تصرخ في وجهي بغضب،

بعدها....بعدها سقطتُ على الأرض أحاول الإنصات إلى كلماتها المجهولة التي كانت –غالبًا- تعاويذ!

ولكن هيهات....لم أستطع تميز حرفًا واحدًا؛ إذ أخذت الإضاءة تقل من حولي رويدًا رويدًا، والرؤيا تنعدم من حولي، حتى أصبح كل شيء عبارة عن ظلام تام!

أنا خائفة! لم أتوقع أن يحدث لي كل هذا، ولكن لم يكن أمامي سبيل آخر للنجاة من هذا الرجل سوى العيش مع هذان العجوزان في بيتهما، آخِر شيء كنت أتوقع حدوثه أن يموت هذا العجوز، وتختفي زوجته من الوجود! كأنهما كانا ينتظران أن أسكن بيتهما ويسلمان لي هذا الكتاب، ويرحلان....للأبد!

***

"(هايدي) استيقظي يا ابنتي، هيَّا لقد أعدت لنا (سماح) إفطارًا شهيًا، هيَّا لا تتكاسلي!"

قالها السيد (حافظ) وهو يقف عِند باب غرفتي، تحاملتُ على نفسي وأنا أجلس على الفراش، وأنظر له ببلاهة!

ألا يبدو على وجهي أي علامة من علامات الإعياء والمرض؟، ألا يتقاطر الدم من جبهتي إثر ضربة زوجته –أو بالأحرى مسخ زوجته- لي ليلة أمس؟

أردف بنبرة هادئة:

- ما بكِ؟ هل ترغبين في تناول الإفطار داخل غرفتك؟

أسرعتُ أقول:

- لا...لم أقصد ذلك، ولكن قل لي...هل يوجد شيء غريب في وجهي؟! أقصد...أليس هناك كدمة في رأسي؟

ضحك وقال بنبرة مرحة:

- لا...أنتِ في أفضل حال يا ابنتي، تشبهين ممثلات التلفاز.

ابتسمتُ لعفوية حديثه، ونهضت من فراشي وأنا أحاول عدم التفكير في أمر زوجته، ولكني واثقة أن ما حدث ليلة أمس لم يكن حلمًا أبدًا.

***

- ألن تخبريني لِمَ فعلتِ ذلك ليلة أمس؟

قلتُها لـ(سماح) بعدما أنهينا تناول الطعام، وذهب زوجها إلى الحمام، ولكن الشيء الذي جعلني أشعر بالغضب هو برودها الشديد وهي تقول:

- عن أي شيء تتحدثين يا ابنتي؟ ما الذي فعلته!

- أنتِ تعرفين جيدًا أنا أتحدث عن ماذا....ليلة أمس حينما اختفيتِ أنتِ والسيد (حافظ) وحينما حاولتُ فتح النور في غرفتكما ظهرتِ لي ولكن كنتِ في هيئة أخرى بشعة و.....

قاطعتني وهي تقول بنبرة باردة:

- وكيف تدخلين غرفة غير غرفتكِ دون الاستئذان من أصحابها من الأساس؟! ألم تربيكِ أمكِ على احترام خصوصيات الآخرين؟!

- لا تتهربي من الإجابة على سؤالي، أحاول إقناع نفسي أنكِ لستِ جنية متنكرة في هيئة آدمية!

في هذه اللحظة تركت الصحون التي كانت بيدها لتسقط وتتهشم وتتحول إلى قطع زجاج متناهية الصغر، واقتربت مني حتى أصبحت في وجهي مباشرةً ولا يفصلني عنها سوى بعض السنتيمترات، اتسعت حدقتا عينيها وهي تقول بنبرة عالية:

- إن كررتِ ما قلتيه هذا مرةً أخرى أقسم أنه سيكون آخر يومٍ في عمرك، أفهمتِ؟ أنتِ لا تعرفين ما الذي من الممكن أن نفعله فيكِ من الأفضل أن تظلي صامتة لا تحاولي العبث معنا، إياكِ وفعل هذا!

كدتُ أتحدث ولكني صمتُ حينما سمعتُ صوت السيد (حافظ) وهو يئن من الألم بعدما سقط أرضًا أمام باب الحمام، هرعتُ أنا وزوجته إليه، وقالت الأخيرة بنبرة قلقة:

- ما الذي حدث! هيَّا...هيَّا يا (حافظ) انهض معي.

حاول أن يتحدث فخرج صوته ضعيفًا وهو يقول:

- من الواضح أن ذاك المرض اللعين قد عاد مرة أخرى يا (سماح) أصبح الدوار يلازمني أينما كنتُ، وفي الفترة الأخيرة أصبحتُ لا أقوى على السير حتى، وأتنفس بصعوبة بالغة، أريد أن أتمدد على الفراش الآن علِّي أستريح قليلًا.

وبسرعة ساعدناه على النهوض، وساعدناه في الوصول إلى فراشه، ودثرناه جيدًا، ثم خرجنا تاركين له المجال لينال قسطًا من الراحة.

***

آخر شيء كنت أتمناه، أن أجلس وحيدة مع هذه المرأة الغريبة، كنتُ أدعو الله تضرعًا أن يتم شفاء السيد (حافظ) على خير، سألتُ زوجته عن المرض الذي يتحدث عنه، ولكنها رفضت تمامًا

إخباري، مما جعلني أشعر بالخوف من كلاهما، السيد (حافظ) حالته الصحية في تدهور مستمر، وكلما حاولتُ أن أحضر طبيبًا رفضا بشدة، لا أعرف لماذا، ولكن المؤكد أن هناك سرًا يخفياه عني!

***

في الليلة الرابعة عشر من شهر مُحرم

- (هايدي)...(حافظ) يريد أن يتحدث معكِ في أمرٍ ما.

قالتها السيدة (سماح)، ومن ثم ذهبت إلى المطبخ، انتابني شعور بالخوف ممزوج بالفضول، الخوف من السيد (حافظ)...والفضول لأعرف ما يريده، سرتُ بخطوات بطيئة نحو غرفته، وطرقتُ الباب عدة طرقات، لأسمع صوته يجيب:

- تفضلي يا ابنتي.

دخلتُ إليه، وجلستُ على كرسيّ جانب فراشه، وبدأ في الحديث بقوله:

- سأتحدث معكِ في أمرٍ ما يا (هايدي) وأرجو ألا تقاطعيني، انصتي إليَّ للنهاية، وبعدها بإمكانكِ إبداء الرأي في ما أقول.

قلتُ:

- حسنًا، تفضل.

- كما تعلمين يا ابنتي، لم أرزق أنا و (سماح) بأبناء، لم يكن الأمر يحزنني لأن (سماح) كانت خير زوجة، كل ما في الأمر أن لديَّ كنزًا ثمينًا كنتُ أود أن يورثه أبنائي من بعدي، ومن الواضح أنه لم يتبقَّ لي سوى سويعات قليلة، وسأرحل من عالمكم الغريب هذا!

الكنز هو هذا الكتاب...

أنهى جملته الأخيرة، ومد يده تحت وسادته، وأخرج كتابًا أسود اللون ذو غلافًا سميكًا، كدتُ أتحدث ولكنه أردف:

- لا تقاطعيني يا ابنتي....

هذا الكتاب هو أعظم شيء من الممكن أن تحصلي عليه، ولأني اعتبرتكِ ابنتي أعطيتك إياه، بعد موتي لن تجدي مكانًا آخر تعيشين فيه، هذا البيت سيصبح رمادًا ، لذا أعطيكِ الكتاب، فيه ستستطيعين تحقيق كل ما تتمني، كل ما عليكِ هو اتباع التعليمات التي ستجدينها داخله، لا تخافي أبدًا، ولكن احذري....

إن وافقتِ على اقتناء الكتاب لا يحق لكِ التراجع أبدًا مهما كانت الأسباب، هؤلاء القوم لا يعرفون للرحمة طريقًا إن تراجعتِ في كلامك، هل أنتِ موافقة؟

أسرعتُ أقول:

- موافقة، ولكن يبدو أنه كتاب خطير، أشعر أني داخل قصة وهمية، مؤكد أنني لن أستطيع تحقيق ما أتمنى إلا بعد فعل شيء ما، وأخاف أن يكون هذا الشيء سحرًا!

ابتسم وهو يقول:

- وما المشكلة يا ابنتي إن كان سحرًا؟ أتظنين أنكِ ستحققين ما تتمني بقدراتكِ الآدمية المحدودة؟

انصتي إليَّ....أنتِ ما زلتِ في مقتبل العمر، بإمكانكِ تحقيق ما تتمني، وبعدها تعودين إلى الله يا ابنتي، أرجوكِ لا تجعلي هذه الفرصة تضيع من بين يديك.

نسج التردد خيوطه على وجهي، أخذت أحك جبهتي بتوتر واضح، وبعد صمتٍ طويلٍ قلت:

- حسنًا...أخبرني أولًا ما هذه النجمة الخماسية التي تتوسط الغلاف؟

وما هذه الأحجار الموجودة على حافتها؟!

ولِمَ هناك فراغ أخير يسع لحجرًا آخر؟

أسرع يقول:

- هذا الكتاب يحمل قصص أُناس كثيرون، حصلوا عليه واتبعوا تعاليمه، وبعدها وصلوا لمرادهم، وهذه الأحجار منسوبة لكل شخص منهم، لن أتطرق بالحديث في هذا الأمر أكثر من هذا، هيَّا...خذي الكتاب، ولا تنسيني أبدًا يا عزيزتي.

مددتُ يدي بتردد وأنا أأخذ منه الكتاب، وبمجرد أن سلمه لي حتى شعرتُ بملامحه ترتخي رويدًا رويدًا، وقال بخفوت:

- احضري لي كوبًا من الماء.

أومأت له برأسي، وذهبت للمطبخ، وأحضرتُ له الماء، ثم عدتُ للغرفة وأنا أقول بمرح:

- تفضل يا سيدي أ.....

صرختُ بفزع حينما وجدت السيد (حافظ) قد فارق الحياة، وأخذت ملامح وجهه تتبدل لملامح مرعبة، وكأنه كان يخفي هيئته المرعبة هذه في هيئة بشرية طبيعية، أخذتُ أصيح باسم زوجته، ولكن لم أجد أيّ إجابة....خرجتُ أبحث عنها فلم أجدها أبدًا....اختفت! ولا تسألني كيف حدث ذلك!

أنا خائفة! لم أتوقع أن يحدث لي كل هذا، ولكن لم يكن أمامي سبيل آخر للنجاة من هذا الرجل سوى العيش مع هذان العجوزان في بيتهما، آخِر شيء كنت أتوقع حدوثه أن يموت هذا العجوز، وتختفي زوجته من الوجود! كأنهما كانا ينتظران أن أسكن بيتهما ويسلمان لي هذا الكتاب، ويرحلان....للأبد!

أخذت أبكي بخوفٍ شديد، ماذا أفعل؟! هل أتصل بالشرطة؟!

تفكير غبيٌّ وساذج، حسنًا...يجب عليَّ الآن أن أهدأ...أهدأ وبعدها سأجدُ حلًا لكل هذا....

أخذتُ أتنفس بعمق في محاولة لتنظيم أنفاسي التي كانت تتسارع وكأني خرجتُ لتوي من سباق!

كنتُ خائفة من الدخول للغرفة مرةً أخرى، شعور أن هناك كائن غريب يرقد بالداخل كان كفيلًا ليجعلني أقتل نفسي ولا أدخل لأراه!

تنهدت بقوة، وبدأتُ بالسير اتجاه الغرفة...كنتُ أتقدم خطوة...وأتراجع عشر خطوات!

الحل الوحيد هو أن أدخل وأغطيه وبعدها سأخبر الجيران.

تمالكتُ نفسي....ودخلت الغرفة.....وكانت الصدمة.....

***

في الحقيقة كنتُ خائفة من الدخول للغرفة حتى لا أرى هذا الشيء الغريب، ولكن الأكثر رعبًا والذي لم أتوقعه أبدًا بالمناسبة، أن أجد الغرفة فارغة تمامًا!!

أين ذهب إذًا؟ إن كان....

قطع سيل أفكاري طرقات على الباب!

اتجهتُ بخطوات مرتبكة نحوه وأخذتُ أقول:

- من؟....من الطارق؟!

لم أتلقَّ إجابة، ففتحتُ الباب لأجد رسالة في ظرف أبيض اللون على عتبة الباب، أخذتها بيد مرتعشة، وأغلقت الباب، ثم أسرعتُ أمزق الظرف، وأفتح الرسالة...ثم شرعت في قراءة الرسالة التي كان مضمونها:

"مرحبًا....السيد (حافظ) قد أدى مهمته، وهو الآن معنا، لا تفوتي الفرصة من يديكِ وبادري بقراءة الكتاب، وأعدك...لن تندمي على هذا أبدًا!"

تركتُ الرسالة من يدي، وأخذت أتطلع أمامي في شرودٍ تام، هل سأحقق أحلامي فعلًا إن قرأت هذا الكتاب واتبعت تعليماته؟

أنا أرى أن التجربة لن تجعلني أخسر شيئًا...،لكن يجب عليَّ أن أكون حذرة.

أمسكت الكتاب، وبدأت أقرأ صفحاته....قرأت المقدمة، ومن ثم بدأت في القراءة....

فوجئت بموت ذاك الذي يدعى (سُهَيْل) في النهاية....كيف؟!

بررتُ ذلك بأنه من الممكن أن يكون ارتكب خطئًا أدى إلى ذلك، خاصة أنني فهمتُ أن هذا الكتاب سيجعلني أتواصل مع جنٌ من العالم الآخر!

بدأ الخوف يتسلل إليَّ، تنهدتُ بقوة، وأكملتُ قراءة مجددًا.

***

حسنًا...إن كان (سُهيل) أخطأ في استعمال الكتاب...هل أخطأ هؤلاء الثلاثة أيضًا في استخدامه؟!

مستحيل، مؤكد أن هذا الكتاب وظيفته هي اصطياد الأرواح، ولكن لِمَ؟!

سأتراجع عن القراءة، لن أكمل، ولن أسمح لنفسي أن أكون ضحية من ضحايا هذا النصاب.

تسمرتُ مكاني حينما تذكرتُ كلمات السيد (حافظ):

" إن وافقتِ على اقتناء الكتاب لا يحق لكِ التراجع أبدًا مهما كانت الأسباب، هؤلاء القوم لا يعرفون للرحمة طريقًا إن تراجعتِ في كلامك."

ماذا أفعل الآن؟!

الغريب أيضًا أن الكتاب لا يوجد به سوى هاتين القصتين، بعدها جميع الصفحات فارغة!

لا أفهم ما السر وراء ذلك، ،إن كانت الحكمة هي اصطياد أرواحًا أخرى لِمَ النجمة المرسومة على الغلاف تحمل خمسة أحجار فقط؟!

عدتُ أنظر للكتاب مرةً أخرى لأجد –في اللحظة التي أنظر فيها للكتاب- كلمات تُدَّون كان محتواها:

"لا ترهقي نفسك في التفكير، كل هؤلاء لم يستخدموه بشكلٍ صحيح، كل ما عليكِ هو قراءة الطلاسم التي ستُدَوَّن الآن، وإياكِ والخوف، إن تركت الكتاب يا (هايدي) ولم تكملي قراءة سيصبح الموت بالنسبة لكِ رفاهية من الصعب الوصول إليها!"

ازدردتُ لعابي بصعوبة بالغة، وشرعتُ أكمل قراءة، وليتني لم أفعل!"

***

نهض (العرَّاف) من كرسيه، وأخذ حجرًا آخر، ووضعه في آخر فراغ من فراغات الدائرة، كان المتوقع هو أن تومض الأحجار

وتُدَوَّن قصة (هايدي) ولكن أخذت الأحجار تومض بقوة وتشكل هيئة شخص، بدلًا من أن تشكل الحروف الأبجدية!

أخذ (العرَّاف) يتراجع للخلف بقوة، واتسعت حدقتا عينيه حينما رأى رجُلًا ذو رداءً طويلًا يخفي به هيئته، وتحيط به هالات من الدخان، تقدم منه، وجلس أمامه وهو يقول:

- ممتاز! لقد أنهيت مهمتك يا عزيزي، تستحق المكافأة وبجدارة!

ابتسم (العرَّاف) بفخر وهو يقول:

- هذا واجبي يا مولاي، وعدتكم أن أنجز لكم المهمة، وها قد فعلت، والآن حان دوركم في الوفاء بوعدكم.

ابتسم هذا الكائن وهو يقول:

- قل لي....ما الذي تعرفه عن الجان والشياطين؟!

تطلع إليه (العرَّاف) باستغراب وهو يقول:

- ماذا تقصد؟ لا أفهم.

- هناك صفة معروفة عنَّا أتعرفها؟

صمت للحظة، ثم تابع:

- نتبرأ منكم دائمًا، ولا نوفِ بوعودنا معكم.

بدأ (العرَّاف) يشعر بالاختناق نظرًا لكثافة الدخان الذي بدأ يسيطر عليه، ولكنه قال:

- وما علاقة هذا بموضوعنا؟

- عزيزي....أنا لم أجبرك على فعل أي شيء، كل شيء فعلته كان بمحض إرادتك أنت، والآن أنا أتبرأ منك.

انهار (العرَّاف) على أقرب كرسيّ قابله، وقال وهو يحاول التنفس:

- ولكن....ولكن لقد فعلت كل شيء طلبته مني.

- نعم، أعرف...مارست السحر الأسود، وقتلت...ولكن يا عزيزي أنت من اخترت هذا الطريق وليس أنا.

- كل ما أريده الآن أن أتنفس، أنا أشعر بالاختناق.

- لا، أنا أريد أن تذهب لربك، ليس لديكَ شيء عندي.

أخذ (العرَّاف) يحاول بشتى الطرق الحصول على الأكسجين، ولكن بدأت قواه تضعف، فقال:

- اترك لي فرصة لأتوب، ولا أريد منك شيئًا سوى هذا.

أخذ الآخر يقهقه عاليًا وهو يقول:

- لقد فات الأوان على هذا!

ومع خروج آخر حرف في جملة هذا الكائن من بين شفتيه، خرج آخر نفس من (العرَّاف) ليصبح جثة هامدة.... لقد مات!

مات بعدما فعل كل شيء حتى لا تكون هذه نهايته، ولكنه لم يدرك أنه خسر آخرته قبل أن يخسر دُنياه!

وَكُنَّا نحنُ الضحايا (الفصل الأخير)

انتهيتُ من قراءة الكتاب، وليتني لم أفعل!

لولا أن عدد الضحايا اكتمل؛ لكنتُ أنا الضحية التالية، وأنت التي تليها!

أشعرُ بالأسف على كل هؤلاء ولكن...ما زالت القصة بحاجة إلى التوضيح، أنا لم أفهم بعد.

ما علاقة (سُهيل) و (عسّاف) و (يوسف) و(سامر) و(هايدي) بكل هذا؟ ولِمَ هم بالذات؟ ولِمَ تم اصطياد أرواحهم في ليلة قمرية تحديدًا؟ ولِمَ لم يوفِ (العرّاف) بوعده كما أوفوا بوعدهم؟ ومن يكون هذا (العرّاف) من الأساس؟ ولِمَ مات في النهاية هو الآخر؟

أحتاج لشرح وبعدها....

مهلًا...أشعر أن أحدهم في الخارج، أنا في الغرفة التي توجد بها هذه المكتبة، لم أخرج منذ أن بدأت قراءة في الكتاب، ولكن ثمةَ صوت حركة في الخارج...أنا واثق.

استجمعتُ شجاعتي وقُلت بصوتٍ عال بعض الشيء:

- من بالخارج؟

المتوقع أن الجواب سيكون الصمت التام، وكنتُ أخشى أن تكون هناك إجابة أخرى سوى الصمت.

وهذا ما حدث فعلًا!

سمعتُ صوت قوي جدًا...يثير الرهبة في النفوس حين سماعه، كانت كلماته ثلاث لا رابع لهم:

- "تعالَ وسترى بنفسك!"

تسارعت دقات قلبي من الخوف، أيعقل؟ وكيف دخل إلى الشقة، هل هو لص؟ وماذا سيريد سرقته من بيتٍ عتيقٍ كهذا؟

أشعر أني الآن داخل فيلم رعب، وسأتصرف بسذاجة إن خرجتُ إليه، نهضتُ بسرعة كسرعة البرق وأحكمت إغلاق باب الغرفة، وقلتُ وأنا ألتصق بوجهي في الباب:

- إن كنت تريد مقابلتي فتعالَ أنت، لن أخرج إليك أبدًا.

تجمدت الدماء في عروقي، وشعرتُ أن دقات قلبي ستتوقف بعد بضع لحظات حينما سمعت صوته من خلفي يقول:

- أنا جئتُ إليك، ولكن أأمل أن تظل راغبًا في التحدث معي بعد أن ترى وجهي...بالمناسبة أنت البشري الأول الذي سيتحدث مع شيطان دون اللجوء إلى ممارسة أي نوع من أنواع السحر.

كنا ثلاث في الغرفة:

أنا، وهو، والخوف الذي ملأ كياني.

خيّم الصمت على المكان، وأصبح هو سيد الموقف، ولكن دقات قلبي أخذت تعلو في محاولة للسيطرة على هذا الصمت القاتل.

ظللتُ أواري وجهي عنه، كنتُ خائفًا هذا الغريب يقول لي أنه شيطان! معنى هذا أن شكله لا يمكن لبشري أن يتحمل رؤيته، خرجت كلماتي من بين شفتيّ ضعيفة ومتقطعة حينما قلت:

- حسنًا وماذا تريد؟ أنا لست بحاجة إليك ولم أقم باستدعائك.

أخذ يضحك بصوتٍ عالٍ، ثم قال:

- لِمَ تُحجب وجهك عني؟ أتخاف من رؤيتي؟ واضح أنك لا تعرف الكثير عن دينك...أنتم أيها البشريون الساذجون محجوبٌ عنكم رؤيتنا إلى يوم الدين، فشكلي الآن هو ليس شكلي الحقيقي

بالتأكيد، هيا تعالَ لنجلس سويًا وأقص لك سبب ظهوري المفاجئ هذا.

هدأتُ من روعي قليلًا، ومن ثم أدرتُ جسدي بالتدريج وأنا مغمض العينين، وحينما استدرتُ بالكامل فتحتها لأرى هيئة بشرية طبيعية جدًا، دعك من رداءه الطويل جدًا، المصحوب بغطاء رأس يضعه على رأسه، ووجهه ذو الملامح المرعبة بعينيه الغائرتان في محجريهما، ولون جلده القاتم المائل إلى البني، وابتسامته العريضة الغير مريحة بالمرة، ولكن شكله ليس مرعبًا كما توقعت على كل حال!

مشى بخطوات ثابتة إلى كرسي أمامه منضدة وجلس عليه، أما أنا فظللتُ على هيئتي ولم أتحرك أو أنبس ببنت شفة، ولكن جلستُ بدوري حينما قال:

- هيّا يا فتى اجلس...لنتحدث قليلًا.

تنهدتُ بقوة في محاولة لاستعادة هدوئي مرة أخرى، وقلت:

- حسنًا...من أنت؟ ولِمَ أنت هنا الآن؟ وماذا يجب عليّ فعله لك؟

ابتسم ابتسامة ماكرة قبل أن يقول:

- أنا من سيجيب على كل الأسئلة التي كنت تسأل عنها بخصوص هذا الكتاب.

قلتُ بضيق:

- آه...أنت تحاول أن تلعب معي نفس اللعبة التي كنت تقوم بها مع ضحاياك أليس كذلك؟ لا بد أنك (العرّاف) إذًا.

كالعادة....ظلت ابتسامته الماكرة على وجهه، وقال:

- أنا أحد كبار الشياطين...أو بإمكانك القول إن أنا هو اللعنة الباقية عليكم إلى يوم الدين.

أنا من أزين لكم الطرق يا معشر بني آدم...أزينها لكم كما لم تروها من قبل، ومن ثم ألقي بكم في قارعة طريق الضلال، وبعدها تكونوا قد خرجتم من رحمة ربكم.

نسجت الحيرة خيوطها على وجهي، ما زلت لا أفهم، مالي أنا وكل هذا؟

كأنه كان يتطلع إلى مخيلتي وما يدور فيها، فأسرع يقول:

تريد أن تعرف كل شيء أليس كذلك؟-

حسنًا...سأشرح لك.

في البداية كان هناك رجل قد شارف على إتمام عامه الخمسون، كعادة أي إنسان ساذج منكم كان يظن أنه بإمكانه فعل المستحيل...بإمكانه الوصول لما لم يصل إليه بشر منكم من قبل، نسيَ تمامًا أنه بشري طبيعي مخلوق في هذه الدنيا لسببان لا ثالث لهما، أولهما:

عبادة الله.

وثانيهما:

- إعمار الأرض.

نسيَ أنه مُقَيّد بدين يجب عليه اتباع أوامره، واجتناب نواهيه، نسيَ أنه مُخَيّر...إما أن يسير في طريق الهداية ويصل إلى بر الأمان...وإما أن يتبع طريق الضلال...الذي في النهاية يؤدي إلى الموت على الكفر!

كان يريد نَيل الخلود...وما كان نَيْل الخلود بمستطاع!

ولكن لا مشكلة، بإمكاني مساعدته، فبشري مثله لن يستطيع فعل أي شيء دون الاستعانة بقوى غير آدمية وقوية، لا أنكر أنه

كان رجل مجتهد، درس السحر الأسود وأتقنه، وأجاد استعماله، وأخيرًا استطاع التواصل معي، وكان سعيدًا بهذا لدرجة يصعب عليّ وصفها لك.

قال لي إنه يريد أن ينال ما لم ينله بشري من قبل، يريد أن يكون الأفضل بين الجميع...يريد أن يكون ذا مالٍ وفير...ونفوذ لا حصر لها.

طلبه كان سهلًا جدًا بالنسبة لنا، ولكنه بحاجة إلى جهدٍ وصبرٍ و....وتضحية.

عادةً من كان يريد أن يتحول من هيئته، أو يصبح مخلدًا، أو يحقق أي شيء مستحيل أن يحققه بشري، يحتاج هذا إلى جمع عدد معين من القرابين، فاتفقنا على أن يضلل لي خمسة من الشباب المشابهين له في تفكيره...الذين يعتقدون أن بإمكانهم الحصول على كنز ومتاع الدنيا، ثم يعطيهم هذا الكتاب القابع بين يديك.

هذا الكتاب هو الأخطر...لِمَ؟

لأنه هو من يحمل خطاياكم، صفحاته كلها كانت بيضاء، كانت تدون قصص الضحايا واحدًا تلو الآخر، رأيتَ أن الكتاب ما زال يحوي صفحات فارغة، لن تكتمل أبدًا! لأن هذا الكتاب صفحاته تزيد تلقائيًا بمجرد أن تنتهي، لتبدأ تدون قصة بشري ساذج آخر.

كما قرأت الضحايا - سواء أكنتُ أقصد بكلمة "ضحايا" (سُهيل) أو أي ضحية أخرى- ...كلهم تمردوا على حياتهم، لم يرضوا بما قسمه الله لهم، إيمانهم كان ضعيفًا لدرجة جعلتهم يمشون وراء أي شخص ويدفعون أي ثمن دون ضمان نتيجة!

صحتُ فيه بعصبية:

- ولكنك أخلفت وعدك معهم، وأخلفت وعدك مع (العرّاف) لقد قَتل! قَتل في مقابل الوصول لحلمه...يعني هو الآن في النار لا محالة.

أسرع يقول بدروه:

- ما زلت لم تفهم بعد...هذا هو الذي أريده بعينه، أريد أن يكون مصيركم جميعًا النار...ولكن "بِرِضاكم" أما أنا فبريء منكم...لا

علاقة لي بكل هذا، أنتم من تطيعون شهواتكم وتفعلون المحرمات رغم معرفتكم أنها محرمة عليكم إلى يوم القيامة، في النهاية أنت ضحية نفسك، وهم ضحايا أنفسهم.

أنا أطرق باب قلب الإنسان مرة واحدة هو من يقرر...أيفتح ليَ الباب ويجعلني أسحبه إلى الهاوية؟ أم يغلقه ويكمل طريقه الذي يوصل به إلى الجنة؟ كما تعتقدون أنتم يا أغبياء!

أتظن ان بعد كل هذا سيكون هناك عقاب؟

هل تظن أن تكون هناك جنة، ونار؟

وأين هيَ إذًا؟

لِمَ الصالحون هم أكثر الناس ابتلاءً دون غيرهم؟

مع أنهم يعبدون إلههم مخلصين له الدين، هيّا أجبني.

(سُهيل) كان يريد فعل المستحيل...كان يريد أن يظهر للجميع في صورة البطل، فأوهمته أنه سيفعل ذلك، وأعطيته الكتاب...للأسف التعاويذ التي قرأها كانت عبارة عن طلاسم من السحر الأسود...معناها هو:

- التحرر من دين الإسلام، والشرك بالله، وتقديم نفسه قربانًا لإلهه الجديد.

أي أن التعويذة لا علاقة لها بتحقيق الأحلام، جميعهم انصاعوا وراء شهواتهم، لم يفكروا...هل هذا حلال؟ أم حرام؟

بدأت الصورة تتضح أمامي، فسألته:

- حسنًا ولِمَ اختار (العرّاف) هؤلاء بالذات؟

أجاب:

- كما قلت لك...(العرّاف) كان ذكي، أنا كلفته بمهمة جمع الضحايا، وقلت له:

- "اختارهم كما يحلو لك".

حينما بدأ في اختيار الضحايا....اختار البشر الضعفاء مثله...اختار من لديه استعداد على التخلي عن مبادئه في سبيل تحقيق حياة كريمة له، اختار الشباب الذين اعتقدوا أن العمر ما زال أمامهم طويل، بإمكانهم فعل كل شيء يريدونه، ومن ثم يتوبون إلى ربهم ويدخلون الجنة، دون وضع الموت في عين الاعتبار، (هايدي) كانت تريد بيتًا تستشعر فيه الأمان بعد أن طُرِدت من الملهى لأنها لا

تريد أن تقع في فاحشة الزنى، ولكن سرعان ما تنازلت عن دينها حينما وافقت على اتباع ساحر.

أسرعتُ أدافع عنها:

- ولكنها لم تكن تعرف أن هذا سحرًا.

فأجابني بهدوء:

- لا...كانت تعرف، كانت تعرف أن الذي سيحقق لها كل أحلامها هو شيطان، ومع ذلك واصلت السير في طريقها.

تعرف يا (شِهاب) أكثر شيء أعشقه فيكم يا معشر بني آدم هو غروركم...غروركم الذي يودي بكم في النهاية إلى أسوأ النتائج.

جميعكم تعتقدون أنكم الأفضل، ولا أحد يستطيع تضليلكم.

الدليل على كلامي هذا هو كل هؤلاء الضحايا، كلهم يعرفون أن الشيطان ملعون من الله، ومع ذلك اتبعوه بكل سرور معتقدين أنهم الأذكى، فكانت النتيجة هي الشرك والموت على كفر، ولا أخفي عليك سرًا...هذه النتيجة أرضت كبريائي جدًا وشعرتُ أني نجحت في عملي.

كلامه كان حقيقيًا....حقيقيًا لدرجة جعلتني أرفض تصديقه، نحن من فعلنا كل هذا بأنفسنا.

تنهدتُ بقوة، ثم سألته:

- ولم كان (العرّاف) يسلمهم الكتاب ويصطاد أرواحهم في ليلة قمرية بالذات؟

أسرع يجيب على سؤالي بقوله:

- لأنه بعد اكتمال عدد الضحايا سيُخلد في ليلة قمرية، لأن الليالي القمرية هي المناسبة لجميع طقوسنا كجن.

عاودتُ أسأله:

- وما سر النجمة الخماسية؟ ذات الأضلاع الخمس، والأحجار الياقوتية؟

- بإمكانك القول أن هذه النجمة وهذه الأحجار هي أداة الوصل بيني وبين (العرَّاف) فكلما كان يضع حجرًا ويومض بقوة مثلما يفعل، كنت أعرف أنه قدَّم قربانًا، وبشكل آخر الأحجار كانت تساعده في تدوين قصص الضحايا.

- حسنًا....أريد أن أعرف من هو (العرّاف) هذا؟

ابتسم قبل أن يُجيب:

- أأنت متأكد من أنك تريد معرفة الإجابة؟

أومأت له برأسي علامة تدل على الموافقة، فاستطرد قائلًا:

- (العرّاف) هذا لم يكن سوى جدك يا (شهاب) جدك (سالم عز الدين)!

خيّم الصمت على المكان مرةً أخرى...ولكن هذه المرة كان عقلي فقد تركيزه، أشعر أن رأسي تدور...كيف؟

كيف أن جدي تسبب في موت كل هؤلاء؟ وبعدها مات وهو كافر!

مات وهو عابد للشياطين، ولكن لِمَ؟

نعم...لقد أثار موته دهشتي، جدي كان ذو صحة سليمة، يحافظ على طعامه المفيد وصحته أكثر من أي شيء، ولكن الموت يأتي دون استئذان على كل حال.

سالت الدموع على وجنتيّ دون إرادة مني، ليس بسبب موت جدي، ولكن بسبب أني مدرك أنه الآن يعذب في قبره بسبب ما اقترفه من ذنوب، كنتُ أتمنى أن تكون لنا فرصة نتوب فيها ونصلح في ما بقيَ من عمرنا، ولكن كل شيء فُصِّل في القرآن،

عَلِمنا أن الدنيا هي محطة من محطات رحلتنا، إما أن نتبع طريق السير الصحيح ونصل بعدها إلى الدار الآخرة، وإما أن نتبع طريق الضلال، وللأسف الشديد جدي اختار الطريق الثاني، وهو الآن يدفع الثمن!

أفقتُ من شرودي على صوت ذاك الكائن وهو يقول:

- لا...لا تبكي جدك كان مُخيّر لم أجبره على شيء، أنا خيرته بين حياته هذه الرتيبة المملة أم حياة أخرى، يقوم فيها بجمع الضحايا في هذا الكتاب وبعد اكتمال العدد ينال كل ما يريد، واختار الاختيار الثاني بالتأكيد، ولكن الغبي لم يفهم اللعبة، وهو تصرف مثلما تصرفنا معه تمامًا، أخذ يزين لهم الطريق، ولم يفهم أن هذا بالضبط ما فعلناه معه، وكانت النتيجة كما ترى.

قلتُ بصوتٍ مبحوح أثر البكاء:

- وماذا عن الجني الغريب الذي يظهر للضحايا؟

أخذ يضحك بقوة، وبعدها قال:

- هذا جن منا، مهمته هي إقناع الضحايا بالذهاب إلى (العرّاف)، وينتهي دوره عند هذه النقطة.

كفكفتُ دموعي، وقلتُ:

- وماذا عليّ فعله الآن؟

نهض من مجلسه، وفي لمح البصر كان يقف أمامي ولا يفصله عني سوى بضع سنتيمترات بسيطة، وقال:

- لا يجب عليك فعل أي شيء، سأرحل أنا الآن و.....

....

أوقفته وأنا أقول له بنبرة شبه متوسلة:

- لا انتظر، أريد أن أعطيك شيئًا أولًا.

نظر لي بعدم فهم، بينما أسرعتُ اتجاه المنضدة، كان يوجد طبقًا كبيرًا في العديد من أنواع الفاكهة، وفي المنتصف كانت توجد سكين حاد، تناولته، وعدتُ له وأنا أداريها خلف ظهري، وأقول:

- بَلِّغ سلامي لأسيادك!

وبعدها طعنته في بطنه، ولكن لم أفهم ما الذي حدث!

في لمح البصر وجدتُ السكين داخل جسدي أنا وهو سليم لم يسمه أي شيء! الألم كان لا يطاق، سقطتُ على الأرض وأنا أمسك بطني من الألم التي تلونت باللون الأحمر نتيجة للدماء التي انفجرت خارجة منها، آخر شيء سمعته قبل أن أذفر آخر نفس لي:

- بل بلغ سلامي لربك هذا، أنت غبيّ حتى بعدما عرفت الحقيقة كنت تظن أنك ستخدعني! ساذج مثلهم، والآن ستدون قصتك معهم، وتزيد الصفحات في انتظار ضحية جديدة أخرى!

كنتُ أعرف أن هذه ستكون نهايتي، ولكني حاولتُ، الآن....يجب عليكَ أن تنجو بحياتك، وإلا...سَتُدون قصتك معنا....في كتاب "ضحايا نزوات"

الخاتمة:

"- قل لي يا عزيزي....ما رأيك في كتاب تجمع منه كنوز الدنيا، تحقق مالم يحققه بشريٌّ من قبلك، كل ما عليك فعله، هو تضليل خمس ضحايا وإقناعهم بقراءة هذه التعاويذ، هل توافق؟

أوافق بالطبع!"

تمت بحمد الله

الصفحة الشخصية للكاتبة على الفيس بوك:

https://www.facebook.com/mariam.abass.١٦